الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب و اللغات — قسم اللغة والأدب العربي

.....ʊɯƥɒžllɛ

المقاربة بين التجربة الصوفية والغزلية عند الأمير عبد القادر الجزائري – أم البنين أنموذجا -

مذكّرة مقدمة لنيل شهادة اللّيسانس، في اللّغة والأدب العربي.
تخصص: أدب عربي.

:hʊǴ‡Uʺllɛ ɑɛɑʏɑ

* üjFDžɛ hʊʏƥŧNjǴ
* hʊɯǐɑɑ ɛƑžlȷNjǴ

:ƤFŧƨŬɛ ɛɛƥʔɑ

DžʃNJDžƨɛ ƥɑǐɵ*

السّنة الجامعية:2013/2012

ـ دعـــــــــــاء ـ

" ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا و أنت العليم الحكيم "

"يا رب إذا جردتنا من المال فاترك لنا الأهل و إذا جردتنا من النجاح فاترك لنا قوة العناد حتى نتغلب على الفشل "

"الهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا و لا باليأس إذا أخفقنا و ذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح "

"اللهم إغننا بالعلم و زينا بالحكم و أكرمنا بالتقوى و جملنا بالعافية "

"اللهم أنفعنا بما علمتنا و علمنا ما ينفعنا و زدنا علما "

"اللهم ارزقنا علما نافعا و رزقا طيبا و عملا متقبلا"

"اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع و من قلب لا يخشع و من عين لا تدمع و من نفس لا تشبع و من دعوة لا يستجاب لها "

"ربنا تقبل دعاءنا و بارك لنا في عملنا هذا "
آمين

إهـــــــــــداء :

فـــي مثـــل هـــذه اللحظـــات نتوقـــف كـــي نفكـــر قبـــل أن نخـــط هـــذه الحـــروف لنجمعهـــا فـــي كلمـــات تتبعثـــر هـــذه الحـــروف عبثـــا نحـــاول جمعهـــا فـــي ســـطور كثيـــرة لا تســـعها الأوراق ...لكـــن هـــا نحـــن فـــي نهايـــة المطـــاف مـــع ذكريـــات و صـــور تجمعنـــا لفـــراق مـــن كـــانوا إلـــى جانبـــا فقبـــل أن أمضـــي أهـــدي ثمـــرة جهـــدي و عصـــارة عقلـــي إلـــى ملاكـــي فـــي الحيـــاة إلـــى معنـــى الحـــب و إلـــى معنـــى الحنـــاهن و التفـــاني علـــى بســـمة الحيـــاة و ســـر الوجـــود إلـــى مـــن كـــان دعائهـــا ســـر نجـــاحي و حنانهـــا بلســـم جراحـــي إلـــى اغلـــى الحبايـــب إلـــى مـــن عانـــت مـــن أجلنـــا و تحملـــت شـــقاء الأيـــام و صـــبرت إلـــى مـــن غمرتنـــي بنبـــع حنانهـــا و عطفهـــا و حرصـــها علينـــا إلـــى مـــن تربعـــت علـــى عـــرش قلبـــي و قـــوى عقلـــي أمـــي الغاليـــة : ربـــاج كريمـــة * علـــى الشـــمعة التـــي تحتـــرق مـــن أجـــل راحتنـــا إلـــى منبـــع الأمـــان و الإطمئنـــان إلـــى مـــن علمنـــي الكفـــاح فـــي هـــذه الحيـــاة و كـــافح لأجلـــي و لأجـــل أخـــواتي إلـــى مـــن ســـهر الليـــالي لينيـــر دربـــي بـــالعلم و المعرفـــة إلـــى مـــن علمنـــا الأخـــلاق و الأداب و الإحتـــرام أبـــي العزيز : بوترعة بشير

* والـــديا الكـــريمين الـــذي كانـــا ســـببا وجودنـــا و تعليمنـــا حفظهمـــا الله و أطـــال عمرهمـــا * إلـــى أخـــي العزيـــز الـــذي كـــان ســـببا فـــي مجـــيء علـــى الجامعـــة و ســـاعدني مـــن أجـــل ان أكمـــل نجـــاحي اتمنـــى مـــن الـــولى أن يوفقـــه فـــي حياتـــه و يحفظه من كل شر أخي اسماعيل

* إلـــى إخـــواتي و أخـــواتي : * إلـــى أحـــلام أختـــي الكبـــرى و زوجهـــا عزيـــز و أولادها : غزلان , ناجي

* إلى اختي سلمى و زوجها عصام و أولادها : قيس , الاء الرحمان

* إلى خولة , إسلام , و اخي الصغير هاني

* إلـــى كـــل الأهـــل و الأحبـــاب * علـــى كـــل الأصـــدقاء و الـــزملاء خاصـــة : خديجـــة , كنـــزة , بســـمة , لميـــاء , بثينـــة , وداد * إلـــى كـــل مـــن علمنـــي حـــرف فـــي حيـــاتي مـــن بدايـــة مشـــواري الدراســـي حتـــى تخرجـــي مـــن الجامعـــة الأن تفـــتح الأشـــرعة و ترفـــع المرســـاة لتنطلـــق الســـفينة فـــي عـــرض بحـــر واســـع مظلـــم هـــو بحـــر الحيـــاة و فـــي هـــذه الظلمـــة لا يضـــيء إلاقنـــديل الـــذكريات ذكريـــات الـــذين أحببـــتهم و أحبـــوني حـــزن يشـــوبه الفـــراق بعـــد التجمـــع و فـــرح لبـــزوغ فجـــر جديـــد مـــن حيـــاتي هـــو يـــوم تخرجـــي هـــو بالنســـبة لـــي يـــوم مـــيلادي و نشـــكر الله تعـــالى الـــذي بقرتـــه و فضـــله اســـتطعت أن اتمـــم هـــذا البحث .

آمـــــــال

اهـــــــــــداء :

اهدي هذا العمل :

إلـــى مـــن كانـــت متشـــوقة لرؤيـــة أولـــى خطـــوات نجـــاحي و تفتخـــر بـــي .....لكـــن شاء القدر عكس ذلك .

إلـــى مـــن علمتنـــي معنـــى الصـــبر فـــي وقـــت الصـــعاب و أعطتنـــي الحـــب و الحنـــان ...إلـــى مـــن كـــان المـــوت يناديهـــا إلا أنهـــا كانـــت تنـــادي بمســـتقبلي ... امي رحمها الله و أدخلها فسيح جناته .

إلـــى الـــذي لـــه الفضـــل الأكبـــر فـــي نجـــاحي و كـــان و لا يـــزال ســـندا لـــي فـــي كـــل خطوة من خطوات حياتي ...

إلـــى مـــن علمنـــا معنـــى التربيـــة و الأخـــلاق و الجـــد مـــن اجـــل الوصـــول إلـــى العلا ...

إلى الذي تحمل مشاق الحياة لكي لا ينقصني شيء.....

إلى الذي أنار دربي و تمنى وصولي إلى القمة ....

ابي أطال الله عمره و أدامه تاجا على رؤوسنا .

إلـــى أخـــواني و اخـــواتي : فيصـــل و زوجتـــه أســـيا , ســـليم و زوجتـــه أمـــال , رضوان , علي , ريمة و زوجها عبد الوهاب , لمياء و زوجها شكري .

إلى الصغار : وائل , هديل , باسم , زياد , أمجد , عبد الرحمان , وصال

إلـــى كـــل صـــديقاتي و تـــوأم هنـــاي خاصـــة : صـــبرة , امـــال , كنـــزة , بســـمة , لامية , خولة .....

إلـــى كـــل مـــن ســـاعدني و شـــجعني مـــن بدايـــة مشـــواري الدراســـي إلـــى تخرجـــي إلى كل من عرفهم قلبي من قريب أو من بعيد .

خديجـــــة

* شكـــــــــــر و تقديـــــــــــر *

لـــيس مـــن المـــروءة أن نطـــوي صـــفحات هـــذه المـــذكرة دون أن نتقـــدم بالشـــكر الجزيـــل إلـــى كـــل مـــن ســـاعدنا فيهـــا مـــن قريـــب أو بعيـــد و نخـــص بالـــذكر الأســـتاذة المشـــرفة حيـــدر اســـمهان التـــي كانـــت لهـــا بصـــمة كبيـــرة علـــى هـــذا البحـــث و لـــم تبخـــل علينـــا بنصـــائحها و توجيهاتهـــا و كـــان لهـــا الفضـــل فـــي تشجيعنا على إتمام هذا العمل

دون أن ننســـى التقـــدم بالشـــكر الجزيـــل إلـــى الأســـتاذة ســـخري زوبيـــر الـــذي ســـاعدنا كثيـــرا و كـــذلك الأســـتاذ ســـليم بوعجاجـــة الـــذي كـــان يوجهنـــا مـــن حـــين إلـــى أخـــر و لـــم يبخـــل علينـــا بنصـــائحه القيمـــة و إلـــى كافـــة الأســـاتذة فـــي كليـــة الأدب عربـــي دون اســـتثناء و فـــي الأخيـــر نســـأل الله التوفيـــق و النجـــاح و يبقى الشكر لله عز وجل .

* مقدمـــــة :

تربـــع غـــرض الغـــزل علـــى عـــرش الشـــعر منـــذ العصـــر الجـــاهلي , وتكـــاد لا تخلـــو قصـــيدة مـــن هـــذا الغـــرض , فلابـــد لأي شـــاعر أن يوظـــف الغـــزل فـــي قصـــيدته , و اقتصـــرت أغلـــب القصـــائد الغزليـــة علـــى وصـــف الجمـــال الخـــارجي للمـــرأة كجمـــال الوجـــه و الجســـم , و لمـــا جـــاء الإســـلام أصـــبح أكثـــر تعففـــا مـــن قبـــل . و بعـــدحها انتشـــر هـــذا الغـــرض حتـــى فـــي العصـــر الحـــديث إذ نجـــده عنـــده شـــاعرنا الأميـــر عبـــد القـــادر الـــذي كـــان مركـــز اهتمـــام العلمـــاء و المثقفـــين و قبلـــة الفقهـــاء و البـــاحثين , فتميـــز عزلـــه بالعفـــة و الصـــفاء فكـــان عفيفـــا روحيـــا , تتخللـــه عواطـــف جياشـــة نابعـــة مـــن قلبـــه الصـــافي , حيـــث كـــان يتغـــزل بزوجتـــه و حبيبـــة قلبـــه – أم البنـــين - , و لقـــد تناولنـــا هـــذا الغـــرض لمـــا فيـــه مـــن تـــداخل مـــع أغـــراض أخـــرى خاصـــة مـــع التجربـــة الصـــوفية . حيـــث كـــان التصـــوف منهجـــا يســـلكه العبـــد للتقـــرب مـــن الله عـــز وجـــل و معرفتـــه و العلـــم بـــه , و ذلـــك عـــن طريـــق الإجتهـــاد فـــي العبـــادات و إجتنـــاب المنهيـــات و تربية النفس , و تطهير القلب .

و مـــا لفـــت انتباهنـــا , هـــو التقـــرب الشـــعري بـــين التجـــربتين و لا نبـــالغ فيـــه . إذ قلنـــا إن هـــذا التقـــارب كـــان مـــن الأســـباب التـــي دعتنـــا لمعالجـــة هـــذا الموضـــوع كما كان الدافع أيضا على اختيارنا هذا الموضوع :

* الميـــل إلـــى الأدب الجزائـــري , و لـــم يكـــن هـــذا الميـــل تعصـــبا . بـــل كـــان نابعـــا مـــن قناعتنـــا , و أنـــه لعـــب دورا فعـــالا علـــى المســـتوى المحلـــي و الخارجي .

و كـــذلك اخترنـــاه لغيـــاب مثـــل هـــذه الدراســـات فـــي المكتبـــة الجزائريـــة , إذ أنـــه قلمـــا نجـــد مثـــل هـــذه الدراســـات .و كـــان تركيزنـــا بالـــذات علـــى الأميـــر عبـــد القـــادر الجزائـــري , إعجابـــا بشخصـــيته و بشـــهامته و بشـــعره خاصـــة فـــي النضال الوطني فهو رجل فذ , مزج بين السيف و القلم .

و من أجل هذا كله رأينا أنه من الواجب علينا كباحثي علم أن نذكر هؤلاء الرجال , و أن نشيد بالجهود التي بذلوها في سبيل تحرير الوطن من جهة , و في سبيل الإبداع من جهة أخرى .
و لا ننسى أن نذكر من كانت له الأسبقية في تناول هذا الموضوع خاصة * فؤاد صالح السيد * في كتابه * الأمير عبد القادر * متصوفا و شاعرا و اعتمدنا ف يهذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي و قد قسمنا بحثنا هذا إلى ثلاث فصول يتصدرها مدخل و تذيلها خاتمة و ملحق تناولنا فيه حياة الأمير , لأنها تفيد بكثير من الجوانب الهامة في الدراسة التطبيقية . و خاصة في توجيهاتنا الغزلية و نظراته الصوفية .
و تطرقنا في الفصل الأول إلى التجربة الغزلية عند الأمير التي أملت علينا تناول مجموعة من العناصر التوضيحية كالتعرض إلى طبيعة الغزل عنده و خصائصه و حضور المرأة في وجدانه ثم انتقلنا في الفصل الثاني إلى التصوف بتبيان مفهومه و أسسه و تقديم بعض الأسباب التي دفعت الأمير إلى سلك هذا المنحى في حياته .
و الأحداث المقاربة الشعرية بين التجربتين أردفنا بعد هذا الجانب النظري جانبا تطبيقيا . وضحنا من خلاله جماليات هذا التداخل و تجلياته بالتطرق إلى الصور التي نتجت عن هذه المقاربة .
و ككل بحث أكاديمي حاولنا من خلال الخاتمة أن نحوصل أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث .
و قد اعتمدنا في هذا البحث على مصادر و مراجع أهمها ديوان الأمير الذي حققه ممدوح حقي و الديوان الذي حققه زكرياء هيام و كتاب * فؤاد صالح السيد * * الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا *
و من الصعوبات التي واجهتنا قلة المراجع الخاصة بالحياة الأدبية عند الأمير فكل المراجع التي وجدناها خاصة بجهاده و نضاله في الحركة الوطنية .
و في الأخير نتفرد بالشكر إلى المشرفة * حيدر اسمهان * التي كانت سندا لنا في اتمام هذا البحث و لم تبخل علينا بأي شيء و نشكر كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد .

مدخـــــــــل :

لقـد كانـت الحيـاة الأدبيـة بـالجزائر فـي أواخـر العصـر التركـي متـدهورة متخلفـة إذا مـا قيسـت بالحيـاة الأدبيـة بالمشـرق , و لكنهـا مـع ذلـك كانـت أفضل من عهد الإحتلال الفرنسي الأول ما بين سنتي 1830-1900 .

و أمـا قبـل الإحـتلال بنحـو نصـف قـرن , فقـد كانـت الحركـة الثقافيـة مزدهـرة بعـض الإزدهـار , غيـر أنهـا مقتصـرة علـى العلـوم الدينيـة و مـا إليهـا , و كـان الطـابع البـارز فيهـا هـو التقليـد و المحافظـة علـى التـراث القـديم مـن فقـه و توحيد و تصوف و علوم لغوية "1"

و قـد اشـتهر فـي هـذه الفتـرة طائفـة مـن علمـاء و أدبـاء مـنهم : عبـد القـادر الراشـدي القسـنطيني "2" و كـان صـاحب تـأليف فـي الفقـه , و علـم الكـلام و كـان يـدعو إلـى التقليـد و ينفـر مـن إعمـال العقـل فـي المباحـث الكلاميـة , و محمـد بـن صـالح الـزاوي "3" و حمـودة المقايسـي الجزائـري "4" و كانـا فقيهـين مشـهورين بالإضـافة إلـى الشـيخ محمـد بـن عبـد الرحمـان الديسـي "5" و كـان فقيهـا بارعـا و شـاعرا مشـهورا , درس فـي زاويـة " الهامـل" و ألـف كتبـا عديـدة و تـرك أبحاثـا سـديدة و الشـيخ عبـد القـادر المجـاوي و كـان مدرسـا بأحـد مـدارس العاصـمة الحكوميـة و عالمـا محصـلا و مؤلفـا مجيدا.

"1"-رابح , بونار , الأمير عبد القادر حياته و أدبه , مجلة أمال الجزائرية 5 جويلية 1970 م , عدد 8 , ص 11

"2" - توفي سنة : 1788 م

"3" - توفي سنة : 1242 ه

"4" - توفي سنة : 1245 ه

"5" - توفي سنة : 1325 ه

و يعد النصف الأول من القرن الميلادي الماضي مرحلة مهمة في تاريخ الجزائر الحديث بسبب ما عرفه من أحداث متأثرة بظروف الجزائر السابقة و مؤثرة في الحياة السياسية و الإجتماعية المواكبة و التالية لها , فقد انبعثت النهضة الوطنية بعد الحرب العالمية الأولى , و ظهرت الأحزاب و الهيئات السياسية و الثقافية , و عرفت الحياة الأدبية يقظة مماثلة في النضال الوطني ضد الإستدمار و في ظل التخلق و الجهل و الفقر , أدت الجهود السابقة إلى القضاء على الركود و إلى ظهور روح وطنية تهدف إلى تغيير الأوضاع السلبية الموروثة عن القرن التاسع عشر (19) *1

و عندما يلتمس الباحث مظاهر النهضة الوطنية بالجزائر يجد صورتها الكاملة في النهضة الأدبية , و في نهضة الشعر بخاصة و تعود هذه الظاهرة الشاذة إلى أن المستدمرين كانوا يسيطرون على كل جوانب الحياة الوطنية , و يكرسون فيها التخلف و الإستغلال , إبقاء على نفوذهم , مما جعل الأدب وحده المراة التي تنعكس عليها النهضة بوجهيها السياسي و الأدبي *2 و بما أن أوضاع الربع الأول من القرن العشرين ستظل مؤثرة في النهضة الوطنية , فقد أحدثت جوانب اربعة باعتبارها العوامل الفعالة و المؤثرة في الحياة الوطنية , الدينية , السياسة , الثقافية , الإجتماعية .

1- أحمد شرفي الرفاعي , الشعر الوطني الجزائري دار الهدى عين مليلة , الجزائر , 2010 , ص 10

2 المرجع نفسه ص 10

و رغم الظروف السلبية التي عم تأثيرها على الحياة الوطنية في الجزائر فقد انعكست على الشعر الوطني شكلا و مضمونا , حيث نجد أغراض الشعر و مضامينه الوطنية في هذه المرحلة تتسم بالبساطة و التعميم , و نجد الدين و الأخلاق و الإعتزاز بالماضي و الإشفاق على الحاضر السيء , نجد كل ذلك عناصر أساسية في مفهوم الوطنية عند الشعراء الجزائريين بالإضافة إلى التعبير عن مشاعر حب الوطن و الإعجاب بجمال طبيعته , و قد حام عدد من الشعراء حول الجوانب السياسية في تهيب واضح , و دون أن يعبروا عن أراء سياسية ناضجة إلا أن الدارس للشعر الوطني الجزائري يلاحظ أن المفهوم السياسي للوطنية في الشعر تطور و تكامل خلال مراحل النهضة الثلاث , فالعناصر المذكورة لمفهوم الوطنية في الشعر تتمثل في شعر المرحلة الأولى للنهضة بخاصة , و في المرحلة الثانية تبنى الشعراء الجزائريون موقف الدفاع عن الحقوق الوطنية بصورة واضحة , وانحصر التعبير عن مشاعر دينية و أخلاقية في المناسبات الخاصة بها و استمر وصف الأوضاع السيئة بروح غاضبة و قوية تحث على النشاط و الجد أكثر مما تعبر عن الألم من الحاضر و الإشراف من المستقبل . أما في المرحلة الثالثة من النهضة , فإن الشعر الوطني الجزائري تبنى الدعوة إلى الثورة و التحرر و تحطيم القيود الإستدمارية و ذكر الجيش و الدولة و العلم *1* و بذلك استكمل مفهومه السياسي للوطنية .

---

1 أحمد شرفي الرفاعي , الشعر الوطني الجزائري .ص 68. 69

بالإضافة إلى أن الوضع الثقافي و الإجتماعي كان في سنة 1830 نقطة تحول كبرى في تاريخ الجزائر الحديثة , فقد كان حادث الجيش الفرنسي بمدينة الجزائر صدمة عنيفة هزت نفوس الجزائريين الأحرار من الأعماق , بل هزت نفوس المغاربيين جميعا .حيث وجد لهذا الإحتلال صدى في الشعر التونسي و شعر المغرب الأقصى يومئذ , فضلا عما كتبه أدباء الجزائر و شعراؤها أمثال : حمدان بن عثمان خوجة , و محمد بن الشاهد , و قدور بن رويلة , و الأمير عبد القادر و أخرون .

فظهر في كتابات هؤلاء جميعا الشعور القومي الوطني التحرري , ربما لأول مرة في تاريخ الثقافة الجزائرية طافحا بالألام و مرارة الهزيمة , أما جيش الغزاة الذي كسح البلاد و أذل الرقاب و أتى على كل شيء جميل , فاغتصبه و دمر الباقي كما استمدت بيد الأثمة إلى المقدسات , فاعتدى على المساجد و القبور , حتى صار المواطن ابن الجزائر الحرة يتمنى الموت قبل أن يشاهد مثل هذه الهزيمة كما عبر الشاعر ابن الشاهد في حينه *1*

أموت و ما تدري البواكي بقصتي و كيف يطيب العيش و الأنس في الكفر

فيا عين جودي بالدموع سماحة و يا حزن شيد في الفؤاد و لا تسر

هكذا إذن كان الإحتلال الفرنسي لبلادنا نقطة انطلاق في تاريخ الأدب الجزائري الحديث . كما كان بمثابة الصدمة المولدة

---

1 محاضرات عثمان حشلاف , المدرسة العليا للأساتذة , في الأداب الإنسانية , بوزريعة , مادة الأدب الجزائري . السنة الثانية جامعي .للتكوين عن بعد ص

للهمة من عدة أوجه منها ما يتصل بميلاد هذا الشعور الوطني القومي و الكيان الجزائري المتميز جغرافيا و حضاريا ظاهرا في تلك الهبة العظيمة حين تسارع الألوف من أبناء الجزائر الأصلاء للإنخراط في صفوف جيش الأمير عبد القادر و تنظيمات المقاومة الأخرى المنتقضة في كل نواحي بلادنا , و التي لم تهدأ ثوراتها إلا بنهاية حرب التحرير الكبرى عام 1962 .

يضاف إلى ذلك أن الأمير رجل دولة و قائد محارب من الطراز الأول و شاعر و كاتب رقيق حواشي الكلام ذواق للأدب الرفيع , فاستقطب في عهده عددا من الكتاب و الأدباء و الشعراء و الخطباء , كما تشهد بذلك رسائله الكثيرة في كتاب * يحي بوعزيز * تاريخ الجزائر من خلال الوثائق و يشهد به كتاب وزيره للداخلية * قدور بن رويلة * بعنوان * وشاح الكتائب و زينة الجيش المحمدي الغالب * ذلك العنوان الجذاب الذي أطلقه الأمير اسما لجيشه الذي يريده أن يكون بصبغة جهادية إسلامية مقدسة , كما كان جيش النبي *محمد * صلى الله عليه و سلم .

و مما يشهد بمكانة الأمير الأدبية الرفيعة كتابه في التصوف *المواقف في التصوف * و كتابه الأخر *المقراض الحاد *أما من يطلع على كتاب السيرة الذاتية للأمير عبد القادر الذي ألف إبنه * محمد بن عبد القادر * بعنوان * تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر* فسيجد فيه جملة من النصوص الأدبية الجزائرية شعرا و نثرا لشعراء و كتاب معاصرين للأمير في الوطن أو في المنفى , تشهد كلها بالتنوع في أساليب الكتابة الفنية و تعدد الأغراض و بعضها لا يبعد أن يكون في الطليعة من أدب ذلك العصر و لعل بعض شعر الأمير عبد القادر نفسه يعد في هذه المنزلة إذا قيس بحالة الخمول و الجمود السائد على كل الأدب العربي في ذلك الزمان .

و منه قد يكون موضوع المقاومة أهم قيمة شعرية تشد اهتمام الدارس من خلال القرن19 م ليس في الجزائر فحسب , بل في العالم العربي كله لأن القيم الفنية الأخرى للأدب العربي في هذه الحقبة لا تكاد تذكر , إذا ظل الشعر العربي في هذا الوقت تحت أشكال التقليد اللفظي و الضعة المفتعلة و الأغراض البالية و الركاكة البادية في الصياغة و التعبير , فنهضة الأدب إذن تبدأ من النواة أي الموضوع , تلك النواة التي أخذت في تعبير شكلها و في التضخم و نمو الوعي بقضايا الإنسان العربي و تفاعله مع أحداث عصره حتى انتهت بتحطيم شكل الشعر العربي *1* كما نعلم في ثورة الشعر الرومانسي و الشعر الحر , و أول شرارة في استعمال نواة الشعر الجزائري كانت في شعر مقاومة المحتلين , هذا الشعر الذي استمد روحه من شعر الفروسية و الحرب و التطلع إلى مراقي الحياة الحرة الكريمة و استلهام قيم البطولة و التضحية و الكرامة و الشهامة .....إلخ

1-محاضرات عثمان حشلاف ص

و كـــان شـــعر الأميـــر عبـــد القـــادر بالـــذات مـــن هـــذا الطـــراز الرفيـــع الـــذي فســـح مجـــالا واســـعا لصـــور التضـــحية و الفـــداء , ليشـــهد بـــذلك علـــى بـــدايات طيبـــة لنهضـــة الشـــعر الجزائـــري منـــذ النصـــف الأول مـــن القـــرن 19 م , بالإضـــافة إلـــى أنـــه اتســـم بثقافتـــه فـــي التـــراث الشـــعري و الأدب العربـــي مـــن الإتســـاع و العمـــق و الشـــمول بحيـــث لا يمكـــن أن نخـــيط بكـــل جوانبهـــا , و هـــو مـــا يجعـــل قصـــائده بـــؤر اســـتقطاب لتلـــك النصـــوص و مـــا فيهـــا مـــن المبـــاني الخاصـــة و المعـــاني الدالـــة علـــى علـــو كعبـــه , و ســـمو تجربتـــه الفنيـــة فـــي الشـــعر , متجـــاوزا عهـــد الإنحطـــاط و الجمـــود فـــي عصـــره عائـــدا بشـــعره علـــى العصـــور الزاهـــرة لـــلأدب العربـــي و الإبـــداع الشـــعري باحتذائـــه تلـــك النمـــاذج رفيعـــة المســـتوى , التـــي لا يكـــاد يقـــف عنـــد حـــد اســـتلهامه لهـــا و اســـتنطاقه لصـــور الـــنص و بعـــث بطولـــة الأمجـــاد و إحيائـــه لمـــواقفهم الخالـــدة , فقـــد كـــان الأميـــر الفتـــى , متســـاميا إلـــى معـــالي الأمـــور عاشـــقا للمكـــارم مفتونـــا بأســـباب السيادة و الريادة لا يقنع بما دون النجوم في ذلك *1*

و حـــين اضـــطرته ظـــروف الحـــرب إلـــى الغيبـــة المتكـــررة عـــن بيتـــه اشـــتكى أهلـــه و زوجتـــه مـــن وحشـــة الفـــراق و أكثـــروا عليـــه مـــن اللـــوم و الإشـــفاق علـــى حياتـــه , فتـــأثر لعتـــابهم تـــأثرا شـــديدا , و نظـــم قصـــيدة فـــي الموضـــوع ضـــمنها انفعالـــه , بـــل احتجاجـــه أيضـــا مـــن الركـــون إلـــى الســـلامة و الأمـــن و الإســـتكانة للعـــدو الكـــافر علـــى المخـــاطرة بـــالنفس و المغـــامرة و المـــوت مـــن أجـــل الجميع .

---

1 المرجع السابق ص: 7

تساءلي أم البنين و إنهـــــــــا لأعلم من تحت السماء بأحوالـــي

ألم تعلمي يا ربة انحدر إننـــــــي أجلي هموم القوم في يوم تجوالـي

و أخشى مضيف الموت لا منتهيا و احمى نساء الحي في يوم تهوال *1*

و فـــي الأخيـــر لا نكـــاد نجـــد شـــاعرا جزائريـــا مميـــزا ينافســـه أو يقـــرب منـــه فـــي طـــرق موضـــوعات الحماســـة و التعبيـــر عـــن الوجـــدان الـــوطني الملتهـــب و حـــرارة الإنفعـــال , بالإضـــافة إلـــى اهتمامـــه بالشـــعر الجزائـــري بفضـــل وعيـــه الفنـــي المتميـــز بخصوصـــية الشخصـــية الوطنيـــة الجزائريـــة , التـــي ســـعى إلـــى تجســـيدها فـــي مشـــروع دولتـــه المســـتقلة أولا بـــالرغم مـــن مـــدن الإســـتدمار الفرنســـي المتلاحقـــة و ثانيـــا بفضـــل تعبيـــره الفنـــي الشـــعري عـــن هـــذا الوجـــدان الجزائـــري الحـــي , و تمثيـــل ملامـــح الشخصـــية البطوليـــة المتميـــزة بكـــل أبعادهـــا العربيـــة و الإســـلامية و المحليـــة , و مـــا تتضـــمنه مـــن مقومـــات القـــوة و الحـــق و العـــدل و التشـــبث بالحيـــاة الكريمـــة و الـــذود عـــن العـــزة الشـــامخة التي ينفرد بها شعر الأمير عن أقرانه في ذلك العصر .

و فـــي مطلـــع القـــرن العشـــرين جـــدت أمـــور كثيـــرة فـــي المجتمـــع الجزائـــري , أعـــادت الأمـــل إلـــى نفـــوس الجزائـــريين , فـــدبت الحيـــاة فـــي عـــروق أدبائنـــا و شـــعرائنا بظهـــور بـــوادر انفتـــاح نســـبي علـــى إحيـــاء الأمـــل فـــي زرع بـــذور إصـــلاحية و نضـــالية و ثوريـــة فـــي شـــعر و أدب الجزائـــر بفعـــل عوامـــل كثيرة و مختلفة .

1-رابح بونار .الأمير عبد القادر حياته و أدبه ص 45

الفصل 01: التجربة الغزلية .

إن شعر الأمير نجده متفرقا في تحفة الزائر و مجموعا في ديوانه الذي نشره الدكتور " إحسان حقي " و هذه القصائد رغم عن كثير منها تظهر عليها روح شعرية ، مقبولة في موضوع الحماسة ، و الفخر ، و التصوف و الغزل . و ما أنشأه في غير هذه الموضوعات و إستمر في أغراض كثيرة منها : الفخر ، و الحماسة ، و الغزل ، و المدح . وله شعر صوفي "1"

و في مذكرتنا هذه نركز على غرضي التصوف و الغزل لما لاحظنا فيهما من مقاربة تتيح لنا الحديث عن جماليات كل غرض منهما :

1-الغـــزل:

أ- تعريفه لغـــة :

غزل : غزلت : المرأة القطن و الكتان و غيرهما . تغزله غزلا و كذلك اغتزلته ، و هي تغزل بالمغزل ، و نسوة غزل ، غوازل قال جندل بن المثنى الحارثي :

كأنه ، بالصحصحان الأنجل

قطن سحام بأيادي غزل

على أن الغزّل قد يكون هنا الرجال ، لأن في جمع فاعل من المذكر منه في جمع فاعله "2"

و الغزل أيضا : المغزول .

"1" رابح بونار :الأمير عبد القادر حياته و أدبه ص 15

"2" ابن منظور لسان العرب ، حققه خالد رشيد القاضي ، دار البيضاء ، لبنان بيروت ، ج 10 2006. ص 60.

و الغـزل : مـا تغزلـه مـذكر , و الجمـع غـزول , قـال سـيده : و سـمى سـبوية ما تنسجه العنكبوت غزلا . فقال في قول العجاج :

كأن نسج العنكبوب المرمل

الغـزل : مـذكر , و العنكبـوت أنثـى , كـذا قـال الغـزل مـذكر و أضـرب عـن ذكـر النسـج الـذي فـي شـعر العجـاج , و اسـتعمل أبـو الـنجم الغـزل فـي الجبـل فقال :

ينفش منه الموت ما لا تغزله

و اسـم مـا تغـزل بـه المـرأة المغـزل و المغـزل و المغـزل , تمـيم تكسـر المـيم , و قـيس تضـمها , و الأخيـر أقلهـا , و الأصـل الضـم , و إثمـا هـو مـن أغزل أي أدير و فتل . و أغزلت المرأة : أدارت المغزل

و الغزل : حديث الفتيان و الفتيات . ابن سيده :

الغزل اللهو مع النساء

و كذلك المغزل , قال :

تقول لي العبدي المصاب حليلها :

أيا مالك اهل في الضغائن مغزل ؟

و مغـازلتهن : محـادثتهن و مـراودتهن , و قـد غازلهـا , و التغـزل التكلـف لذلك , و أنشد :

صلب العصا جاف عن التغزل

تقـول : غازلتهـا و غـازلتني , و تغـزل أي تكلـف الغـزل و قـد غـزل غـزلا و قـد تغـزل بهـا و غازلهـا و غازلتـه مغازلـة , و رجـل غـزل : متغـزل بالنسـاء على النسب أي ذو غزل "1" و في المثل : هو أغزل من امرء القيس .

---

1 المصدر السابق : ص 60-61

ب- تعريفه اصطلاحا :

الغزل أحد الأغراض الشعرية , و هو قديم عرفناه في الجاهلية , أين كان تصويرا حسيا . حيث يقول امرؤ القيس متغزل بمحبوبته :

مهفهفة بيضاء غير مفاضـــــــــــة

ترائبها مصقولة كالسجنجـــــــــل

و جيد كجيد الرئم ليس بفاحـــــــش

إذ هي نصته و لا بمعطـــــــــــل

و فرع يزين المتن أسود فاحـــــم

أثيث كقنو النحلة المعتكـــــــــل

هذا عن الغزل الماجن , فماذا عن حال الغزل العفيف ؟

يقول جميل بن يعمر الإيادي في بثينة :

بثينة إنك قد ملكت فأسجحـــــــي

و خذي بحضك من كريم واصلـــي

فهـذا تغـزل عفيـف بعيـد عـن أي وصـف حسـي و منـه فـالغزل هـو ذكـر لمحاسن المرأة و مفاتنها , في ألفاظ حلوة و معاني سهلة و كلام طاهر .

و هو فن وجداني قديم , موضوعه المرأة و هو نوعان :

1- نـوع صـريح مـادي , يتبـع الجمـال حيثمـا كـان , و يلهـث وراء الجسـد الأنثـوي لإشـباع الغريـزة الجامحـة , و يتميـز بعـدم التحـرج فـي التعبيـر عـن مشـاعر التمتـع و المغـامرة و هـو يتتبـع جسـد المـرأة عضـوا عضـوا "1" مـع نغمـة مرحـة مسـلية , إضـافة إلـى دقـة العبـارة , و متانـة الألفـاظ و فصاحتها .

---

1 المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

2/ الغـــزل العفيـــف : هـــو نـــوع يتبـــع المـــرأة فـــي ذاتهـــا , أي فـــي روحهـــا ووجـــدانها , لا فـــي جمالهـــا و أناقتهـــا . و غالبـــا مـــا يكتفـــي المحـــب فـــي هـــذا النـــوع بـــامرأة واحـــدة , يعلـــق علـــى رضـــاها ســـعادته واطمئنانـــه ثـــم يقـــف علـــى التغـــزل بهـــا فـــي شـــعره كلـــه و يتميـــز هـــذا النـــوع بعفـــة اللســـان و صـــدق الصبابة , و طهارة المعاني و رقة العاطفة و عنفوان الشوق .

تطور مفهوم الغزل عبر العصور :

1/ في العصر الجاهلي :

تربـــع الغـــزل علـــى عـــرش الشـــعر فـــي العصـــر الجـــاهلي , و تكـــاد لا تخلـــو قصـــيدة مـــن الغـــزل حتـــى و إن لـــم يكـــن هـــو الغـــرض الأســـاس فيهـــا , فلابـــد للشـــاعر أن يـــذكر الغـــزل فـــي قصـــيدته , و اقتصـــرت أغلـــب القصـــائد الغزليـــة علـــى وصـــف الجمـــال الخـــارجي للمـــرأة كجمـــال الوجـــه و الجســـم , و كـــان الشـــعراء يتفننـــون بوصـــف هـــذا الجمـــال لكـــنهم قلمـــا تطرقـــوا إلـــى وصـــف مـــا تـــرك هـــذا الجمـــال مـــن أثـــر فـــي عـــواطفهم و نفوســـهم و فـــي هـــذا العصـــر ظهـــر الغزل الفاحش أو الصريح و زعيمه امرؤ القيس .

2/ في صدر الإسلام :

هـــذب الإســـلام الغـــزل فـــي هـــذا العصـــر , حيـــث جـــاء أكثـــر تعففـــا , لكـــن رغـــم هـــذا ظلـــت طائفـــة مـــن الشـــعراء تعاقـــد الخمـــر فـــي أشـــعارها و تتشـــبب بالنســـاء و تتغـــزل بهـــن غـــزلا فاحشـــا أمثـــال : أبـــي محجـــن الثقفـــي , لكـــن عمـــوم الشعراء اتسم شعرهم بالغزل العفيف الذي لم يقف الإسلام بوجهه *1*

و الدليل على ذلك أن كعب بن زهير عندما مدح

---

1 المرجع السابق .

الرسول صلى الله عليه و سلم بدأ قصيدته الشهيرة بالغزل

بانت سعاد فقلبي اليوم متبـــــــــول

متيم إثرها لم يفد مكبـــــــــــول

و ما سعاد غداة البيت إذ رحلـــوا

إلا أغن غضيض الطرف مكحول

3/ الغزل في العصر الأموي :

ازدهر الغزل في هذا العصر ازدهارا لا مثيل له و ذلك لأسباب منها :

- التسامح الديني الذي كان سائد في ذلك العصر

- الهدوء و الإستقرار الأمني

حيث اتجه الغزل في ثلاث اتجاهات أو ثلاث مدارس :

1- الغـزل البـدوي أو العـذري : و هـو غـزل عفيـف سـطع نجمـه فـي هـذا العصـر و نجـد فيـه مشـاعر الحـب الصـادقة لأنـه يقتصـر علـى حبيبـة واحـدة , و مـن رواده : كثيـر , عـزة , و قـيس بـن الملـوح و ذو الرمـة , و قـيس لبنى و جميل بن معمر .

2- الغـزل الحضـري : و سـمي كـذلك لانتشـاره فـي حواضـر الشـام و زعـيم هـذا النـوع : عمـر بـن أبـي ربيعـة و يتميـز بعـدم الإكتفـاء بحبيبـة واحدة في القصيدة الواحدة .

3- الغـزل التقليـدي : يكثـر فيـه الوقـوف علـى الأطـلال و سـمي بالتقليـد , لأن فيـه شـيء مـن تقليـد شـعراء العصـر الجـاهلي *1* و مـنهم : جريـر و الفرزدق

---

1 المرجع السابق

4/ الغزل في العصر العباسي :

شهد هذا العصر ازدهارا في شتى مجالات العلوم و منها الشعر بكل أغراضه , لكن خفت صوت المدرسة الغذرية في الغزل و كثر الغزل الفاحش و لعل الخطر في هذا ظهور نوع من الغزل يعد أكثر الأنواع انحطاط , و هو الغزل العلماني , و لكن بالرغم من ذلك ظل الشعراء يستعملون هذا النوع في قصائدهم الرسمية , كما حافظ شعراء اخرون على قدر كبير من الغزل العفيف و من سمات الغزل في هذا العصر :

- تليين اللغة و الإبتعاد عن إيراد الألفاظ الغزلية و من أهم رواده : أبو نواس , و بشار بن برد و غيرهما .

5/ الغزل في العصر الأندلسي :

حيث شهد هذا الغرض ازدهارا كبيرا في هذا العصر و من أسباب ذلك , جمال الطبيعة التي وصفها : ابن خفاجة .

و ظهرت في هذا العصر الموشحات *1* و من خصائص هذا النوع اتباع الشعراء في الأندلس نهج المشرقيين في كثير من القصائد . فعرفوا الغزل التقليدي و الوقوف على الأطلال و الغزل الفاحش و العفيف , و تميز الغزل في هذا العصر , باقبال المرأة على الغزل و تغزلها بالرجل.

---

1 الموشحات :الموشح لغة : مأخوذ من الوشاح و هو من حلي النساء مرصع باللؤلؤ و المرجان . و اصطلاحا : هو فن ظهر في العصر الأندلسي . منظوم على وزن مخصوص بقوافي مختلفة .

6- الغزل في العصر الحديث :

أدخلت صور جديدة في الغزل في هذا العصر , حيث ازدادت العواطف و الوجدانيات في الغزل و ابتعد عن ايراد الغريب من الألفاظ و كان للغزل حصة الأسد في دواوين عدد كبير من الشعراء و ذلك بسبب خفوت الكثير من الأغراض الشعرية مثل الهجاء و الفخر و المدح ....وأبرز رواده : نزار قباني , علي محمود طه *1* و هكذا كان تطور الغزل عبر العصور . فكيف كان غزل شاعرنا الأمير عبد القادر ؟

1 - مفهوم الغزل عند الأمير عبد القادر : إن غزل الأمير لم يكن من الضرب المادي الذي نجد أدبنا القديم فيضابه , و إنما كان من نوع الغزل الروحي , يتحدث فيه عن صبابته إلى زوجته " أم البنين " و تغزله بها صادق جياش بالعواطف النبيلة , فكان إذا غاب عنها شك , و إذا ذكرها تحسر , و إذا أجنه الليل و هي بعيدة عنه صاح من أعماقه بشعر عليه لفحات الحب , و ظلال اللوعة و الحرقة :

ألا قل للتي سلبت فؤادي و أبقتني أهيم بكل واد
تركت الصب ملتهبا حشاه حليف شحب يذوب بكل ناد
و مالي في اللذائذ من نصيب تودع منه مسلوب الفؤاد *2*

و حينما يشتد هيامه و تستأسره أشواقه يعتريه قلق و يحفزه تمرد فيعاتب نفسه قائلا :

---

1 - المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

2 رابح بونار : الأمير عبد القادر حياته و أدبه ص 17

ألام فؤادي بالحبيب هتـــــــــــورا
و نار الجوى بين الضلوع تثـــــــــور
و حزني مع الساعات يربو مجـــــددا
و ليلي طويل و المنام نفـــــــــــور
و حتى متى أرعى النجوم مسامـــرا
لهل دموع العين ثم تفـــــــــــور ؟ *1*

و إذا تتبعنـــا غـــزل الأميـــر وجـــدناه يســـتهدف منـــه بـــث شـــكواه , و تصـــوير لواعجـــه المحرقـــة إزاء بعـــض نســـائه و هـــذا الـــنمط مـــن الغـــزل هـــو المحمـــود لـــدى مـــن يميلـــون إلـــى الجانـــب الروحـــي فـــي المـــرأة , و لعـــل الـــذي طبـــع الأميـــر علـــى ذلـــك هـــو دراســـاته الأدبيـــة المتصـــوفة . الـــذي يمثـــل هـــذا الإتجـــاه فـــي موضوع الغزل .

و نجـــد للأميـــر مقطوعـــة جيـــدة فـــي الغـــزل أنشـــأها بالســـتانة ســـنة 1272 ه و فيهـــا يصـــف أشـــواقه إلـــى زوجتـــه فـــي " بروســـة " و هـــي تتســـم بعاطفـــة صـــادقة ملتهبـــة , و شـــكوى صـــارخة لبعـــده عنهـــا , و حرمانـــه مـــن رؤيتهـــا و فيها تودد الفارس و ذلة العاشق *2*

أقول لمحبوب تخلف من بعـــــــــدي

عليلا بأوجاع الفراق و بالبعـــــــــد

أما أنت فقالو رأيت صبابتـــــــــــي

لهان عليك الأمر من شدة الوجـــــــد

و قلت أرى المسكين عذبه الهـــــوى

و أنحله حقا إلى منتهى الحـــــــــد *3*

---

1 ديوان الأمير عبد القادر الجزائري 1807م - 1883 م جمع و تحقيق , شرح و تقديم / د العربي دحو , طبعة في اطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية سنة 2007 ص 57

2 رابح بونار . الأمير عبد القادر حياته و أدبه ص 18.17

3 ديوان الأمير عبد القادر 30- تقديم العربي دحو .ص 60

و عمـــلا بالوصـــية التـــي جـــاء بهـــا أبـــو تمـــام البحتـــري قـــائلا : " ... فـــإن أردت النســـيب فإجعـــل اللفـــظ رقيقـــا , و المعنـــى رشـــيقا , و أكثـــر فيـــه مـــن بيـــان الصبابة , و توجع الكأبة , و قلق الأشواق , و لوعة الفراق ....." "1"

فإننـــا نتســـاءل مـــاهو نصـــيب شـــاعرنا الأميـــر عبـــد القـــادر مـــن هـــذه الوصـــية الأدبيـــة ؟ و مـــاهو موقفـــه مـــن الغـــزل فـــي شـــعره الغزلـــي ؟ و إلـــى أي تيـــار انتمى : العذري , أم الحضري , أم التقليدي ؟

قبـــل الإجابـــة عـــن كـــل هـــذه الأســـئلة , يحســـن بنـــا أن نجيـــب أولا عـــن ســـؤال أساســـي , يعتبـــر المفتـــاح لفهـــم شـــعر الغـــزل عنـــد الأميـــر و هـــو : لمـــاذا خضـــع الأمير للمرأة ؟

أ / الأميـــر و المـــرأة : تبـــدو الإجابـــة عـــن هـــذا الســـؤال ســـهلة , و لكنهـــا فـــي حقيقـــة الأمـــر صـــعبة , لأن الأميـــر نفســـه فـــي بدايـــة الأمـــر لـــم يجـــد تعلـــيلا لهـــذه الحـــال الغريبـــة التـــي اعترتـــه , فهـــو يتعجـــب مـــن ســـطوة الحـــب علـــى قلبـــه و نفسه , فأدى ذلك إلى انهزام شجاعته القوية *2*

ونحـــن نعلـــم أن فـــي فخـــره و حماســـته مـــدى صـــبره علـــى تحمـــل مكـــارم الحـــروب , و الهمـــوم الجســـام التـــي يعجـــز عـــن حملهـــا ذوو الهمـــم المستســـلمة , فـــلا هـــو تخيفـــه الســـيوف و القنـــا , و لا يخيفـــه زحـــف الجيـــوش و اصـــطدامها في معمعات الحروب .

---

1 ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر أدابه و نقده . حققه و فضله و علق حواشيه . محمد محي الدين عبد الحميد . الجزء الثاني . الطبعة الثالثة . مصر 1383 ه , 1964 م ص 114

2 فؤاد صالح السيد الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص 214

إذا مـــاهو الشـــيء الـــذي يخيـــف شـــاعرنا,و يروعـــه,و يفـــيض مدامعـــه, و يضيء فؤاده ؟

و يجيـــب شـــاعرنا عـــن هـــذه التســـاؤلات . و يصـــرح و الأســـى مـــلء فـــؤاده , و الـــدموع مـــلء عينـــه , إنـــه الحـــب *1* فلابـــد مـــن أســـباب أدت بـــالأمير إلـــى الخضـــوع للمـــرأة و يمكـــن حصـــرها فـــي ســـببين أساســـين همـــا : الأمومـــة و الجمال .

دور الأمومـــة : ولعـــل الســـر فـــي هـــذا الخضـــوع للمـــرأة , كـــامن وراء اعجابـــه الشـــديد بأمـــه , و حبـــه أياهـــا , و شـــدة تعلقـــه بهـــا . و كـــان الأميـــر شـــديد الإحتـــرام لهـــا , يأخـــذ برأيهـــا , و يستشـــيرها فـــي المهمـــات الصـــعبة , و الأمـــور العســـيرة , حتـــى أنهـــم بأنـــه يخضـــع لمـــا تصـــدره مـــن : مكاتـــب , و تحـــارير , و مراســـلات , موقعـــة باســـمه , فربمـــا كانـــت والـــدة الأميـــر ذات شخصـــية قويـــة , تفـــرض الإعجـــاب و افحتـــرام علـــى كـــل مـــن يراهـــا . و كـــان مـــن شـــدة تعلـــق الأميـــر بوالدتـــه اصـــطحابه لهـــا فـــي أســـفاره و كأنـــه يلـــتمس مـــن عقلهـــا الـــراجح و مـــن زوجهـــا العضـــد و الطمأنينـــة حيـــث رافقتـــه إلـــى الأســـر . و حملهـــا معـــه إلـــى اســـتانبول (ISTAMBOUL) و بروســـة (Brousse) و دمشـــق *2* و يبـــدو تـــأثير الوالـــدة علـــى ولـــدها بعـــد حادثـــة وفاتهـــا فقـــد عظـــم علـــى الأميـــر مصـــابه , و حـــزن عليهـــا حزنـــا شـــديدا , و بعـــد رجوعـــه مـــن دفنهـــا بمقبـــرة " الدحـــداح " إلـــى منزلـــه فـــي " العمـــارة " بدمشـــق . توقف عدة مرات في الطريق

---

1 المرجع السابق ص 214

2 المرجع نفسه ص 215

من هول المصيبة , فقال له بعض من كان معه " ارفق بنفسك " فقال لهم :" كيف ذلك و أنا فقدت أعظم من كان يحبني على وجه الأرض " *1*

فربما كان لهذه المحبة العميقة , و الخضوع الكلي و الإعجاب الشديد الذي كان يبديه الأمير لوالدته الأثر الفعال في تحويل محبته , و خضوعه , و إعجابه بالمرأة بشكل عام و أساسي

2/ سلطان الجمال :

من المعروف عن الأمير أنه كان عصبي المزاج , عنيفا في الدفاع عما يعتقد أنه الحق , لا يلين للقوة مهما قست و طغت , فيه شيء من منهجية البادية و عنادها على ليونة في القلب أمام الجمال , و تراخ لعزة المرأة .

و إذا استغرب الباحث موقفه هذا , لاحظ أن الأمير نفسه قد تملكه العجب من هذا الواقع الغريب العجيب . و لكنه يستدرك ليذكرنا بأنه - قبل كل شيء - فارس و يليق بالفارس أن يخضع لسلطان واحد لا غير هو : سلطان الجمال الذي يتملك منهج الفرسان و يخضعهم لسلطانه

و سلطان الجمال له اعتزاز

على ذي الخيل و الرجل الجواد * 2*

ب / طبيعة غزل الأمير :

لم يكن غزل ماديا .ماجنا , بل كان غزلا روحيا ينتمي إلى التيار العذري في صدقه , و صفائه .

---

1 فؤاد الصالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص 216

2 المرجع نفسه ص 216

و إخلاصه النيل .

فماهي الأسباب التي حملت الأمير على أن ينهج في غزله هذا ؟

يمكننا أن نقدم سببين أساسين هما : تربية الأمير الإسلامية . و دراساته الصوفية .

1-دور التربية الإسلامية : تلقى الأمير هذه التربية مدى حياته , و في طفولته الأولى خصوصا , فغذت هذه التربية النواحي الروحية و الخلقية في نفس الطفل , فجعلته يتسامى عن المكاسب الأرضية المادية الفانية , و يتطلع إلى المكاسب النفسية و الروحية *1* و من هنا تبدو في شعره هذه الطهارة , و العفة و الحرمان , و الإكتفاء بالليالي و بالطيف , و في هذا التركيز المحوري على الحزن و الأسى و الكأبة , و الدموع التي يسكبها لهجران الحبيب .

2- دور دراساته الصوفية :

تأثر الأمير بالتصوف في مراحل حياته كلها في الجزائر , و فرنسا و بروسة و دمشق , و من المعروف أن التصوف ينمي الجوانب الروحية و الخلقية في الإنسان , و يبعده عن الجوانب المادية الضيقة المغلقة . و لا يخفى أن الحب و الغزل الإلهيان عنصران أساسيان من عناصر الشعر الصوفي في الإسلام .

فإن التألف بين التصوف و نفسية الأمير , و رغباته , و ميوله الفطرية , قد أدى إلى بروز الجوانب الروحية الخلقية بروزا واضحا في سلوكاته اليومية , و تصرفاته الحياتية . فانعكست هذه الناحية الروحية الخلقية في أشعاره الغزلية *2* فكان هذا الإتجاه العذري في الغزل عند الأمير , غزل الحنين و الأنين , غزل الأسى و اللوعة و الحرمان .

---

1 المرجع السابق ص 217

2 المرجع نفسه ص 217-218

ج - خصـــائص غـــزل الأميـــر (مـــن حيـــث مواضـــعه) : ســـما الأميـــر فـــي شـــعره الغزلـــي عـــن الأوصـــاف الماديـــة الماجنـــة , إلـــى الأوصـــاف الخلقيـــة الروحية . و قد تميز غزله هذا بمجموعة من الخصائص :

1- بـــروز شخصـــية الأميـــر : يركـــز الأميـــر فـــي غزلـــه تركيـــزا شـــديدا علـــى شخصـــيته فقـــد جعـــل مـــن نفســـه نقطـــة ارتكـــاز غزلـــه . فهـــو إنمـــا يتحـــدث فـــي الـــديوان عامـــة و فـــي شـــعر الغـــزل خاصـــة عـــن نفســـه , و عـــن همومـــه و ألامـــه , و تناقضـــــه النفســـــي مـــــع حبيبتـــــه , و ذلـــــه و حرمانـــــه , و لـــــذا حـــــق لـــــه أن يخاطب حبيبته بمثل قوله : *1*

تركت الصب ملتهبا حشـــــــــــاه

حليف شجى بكل بكل نـــــــــاد *2*

2- صورة الأمير المأساوية :

يطالعنـــا الأميـــر دائمـــا فـــي قصـــائده الغزليـــة بصـــورته المأســـاوية التـــي تمثـــل لنـــا حـــال العاشـــق الغريـــق , الأســـير , الضـــعيف الـــذي أضـــناه الهجـــر الوجـــد و الصـــد . إنـــه العاشـــق الـــذي يحمـــل فـــي ذاتـــه العاشـــقة متناقضـــات غريبـــة . فهـــو الفريـــق تـــأجج قلبـــه بنـــار الهـــوى البـــاكي , و فاضـــت عينـــاه بـــدموع غريـــزة , على خديه و كم حاول الأمير أن يخفي هذا الحب .

و لكـــن مـــا العمـــل مـــع حنينـــه , و أنينـــه , و زفراتـــه , و دموعـــه التـــي فشـــت هـــذا السر المكنون , و أبانت ما عنده من لوعة و أسى : *3*

غريق أسير السقم مكلوم الحشـــــــا

حريق بنار الهجر و الوجد و الصـــــد *4*

---

1 فؤاد صالح السيد . الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص 21

2 زكريا صيام كديوان الأمير عبد القادر الجزائري . المؤسسة الجزائرية للطباعة رقم 88. ص 135

3 فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص 218

4 زكريا صيام : ديوان الأمير عبد القادر الجزائري .ص 145

غريق حريق هل سمعتم بمثـــــــل ذا ؟

ففي القلب نار و المياه على الخـــــــدا

حنيني أنيني و زمرتي و مضرتـــــــي

دموعي خضوعي قد أبان الذي عنـــــدي *1*

3- الأمير ة تناقضه مع محبوبته :

و الأميـــر مغـــرم فـــي شـــعره الغزلـــي برســـم الصـــورة المتناقضـــة , فيقـــارن بـــين نفســـه الباكيـــة الكئيبـــة , و بـــين حـــال المحبـــوب فـــي غنجـــه و دلالـــه إن شـــعره الغزلـــي حافـــل بالمحســـنات البديعيـــة عامـــة بنـــوعي : الطبـــاق و المقابلـــة الخاصـــة . فهـــو يعتمـــد علـــى هـــذه المحســـنات فـــي المقارنـــة بينـــه , و بـــين حبيبته . فما يريده للحبيبة , غير ما تريده له .

و مـــا يقـــدم لهـــا مـــن مقاســـاة الهـــوى , و الســـهر و الضـــن , و رعايـــة عهـــد الـــوداد و المحبـــة لا يلقـــي فـــي نظرهـــا الإستحســـان , بـــل تبـــادل رعايـــة وداد الشاعر باللامبالاة , و بكاءه بالضحك *2*

أقاسي الحب من قاسي الفـــــؤاد و أرعاه و لا يرعـــــــى ودادي

أريد حياتها و تريد قتلـــــــــي بهجر أو بصد أو بعـــــــــاد

و أبكيها فتضحك ملء فيهـــــا و أسهر و هي في طيب الرقـــاد *3*

4- الإستلاب القلبي و العقلي :

إن حـــب الأميـــر قـــد ســـيطر عليـــه ســـيطرة تامـــة فســـلبه قلبـــه و عقلـــه , فـــلا يحلـــو للغزال الحبيب إلا أن يرتع في فؤاد الأمير :

ألا من منصفي من ظبي قفـــــــر

لقد أضحت مراتعه فـــــــؤادي *4*

---

1 المرجع السابق ص 145

2 فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص 219

3 زكريا صيام : ديوان الأمير عبد القادر الجزائري ص 133

4 المرجع نفسه ص 134

و قد اشتد الحب بالأمير حتى سلبه عقله :

ولي ما يزيل العقل عن مستقـــــره

فلا تعجبوا إن قيل : فيه خبـــــال

5- حرمـــان الأميـــر و عفـــة حبيبتـــه : إن حـــب الأميـــر مبنـــي علـــى الحرمـــان و العفـــة , إذ أن كـــل واحـــدة مـــن هـــاتين الميـــزتين ســـبب و نتيجـــة للثانيـــة . فالعفـــة نتيجة الحرمان , و الحرمان نتيجة العفة *1*

إن عفـــة الحبيبـــة فـــي طهرهـــا و نقائهـــا , و فـــي امتناعهـــا الشـــديد هـــي التـــي حرمـــت الأميـــر مـــن اللذائـــذ الجســـدية الغريزيـــة , فكلمـــا حـــاول جاهـــدا أن يلـــثم فم الحبيبة لم ينل منها سوى التمنع و الصدود .

فيعود و الحسرة ملء فؤاده , و العطش ملء شفتيه :

و أبذل مهجتي في لثم فيهـــــــا

فتمنعني و أرجع منه صـــــاد *2*

فيتمنـــى الأميـــر ذوبـــان نفســـه و موتهـــا , إذ يعتبـــر أن هـــذه الكلمـــات هـــي قضـــاؤه و قـــدره فـــي هـــذه الحيـــاة التـــي كتـــب فيهـــا لقصـــة حبـــه أن تنتهـــي هـــذه النهاية :

فإن هو لم يجد بالوصل أصـــــلا

و يدين الطيف من سكنـــــي و داري

أقل للنفس : ويلك ألا فذوبـــــــي

و موتي فالقضاء عليك جـــــــــار *3*

---

1 فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر متصوفا و شاعرا ص 219 - 220

2 زكريا صيام : ديوان الأمير عبد القادر الجزائري ص 133

3 المرجع نفسه ص 160

و يقتنع الأمير أخيرا بأن لا نصيب له من هذه اللذائذ فتصبح حياته حياة الحرمان , و السهر الدائمين :

و مالي من اللذائذ من نصيـــــب

تودع منه مسلوب الرقـــــاد *1*

6- طيـف الحبيبـة و محبـة الليـالي : و مـع ذلـك لا يـزال الأميـر يعـيش علـى أمـل واحـد , و هـو أمـل اللقـاء و الفـوز برؤيـة طيـف الحبيبـة . لـذا يتكلـف النـوم تكلفـا علـة يـرى خيالهـا فـي منامـه فيفـرح قلبـه البـاكي , و هـو يطلـب مـن الأخـرين أن يشـرحو ا لهـا حبـه لكـي تـرأف لحالـه , و شـفق عليـه , فتجود عليه بطيفها .

فمـن هنـا كانـت محبـة شـاعرنا الأميـر لليـالي , لأنهـا السـبيل الوحيـد للقـاء طيف الحبيب :

أحب الليالي كي أفرز بطيفهـــــــــا
و أرجو المنى بل قد أقول : أنـــــــــال
أكلف جفني النوم علـــــــي أن أرى
مثالا لها يسري و ليس مثـــــــــــال
فقولوا لها : إن كنت ترضين عيشتـــي
فجودي بطيف إن يعز وصـــــــــال *2*

7- الفـــــــراق :

و أكثـر مـا يـؤلم شـاعرنا فـراق الحبيـب . هـذا الفـراق الـذي سـبب لشـاعرنا الأوجاع و العلل النفسية :

---

1 المرجع السابق ص 135

2 فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعا ص 220

أقول لمحبوب تخلف من بعـــــــدي

عليلا بأوجاع الفراق , و بالبعـــــد *1*

و قـد تطـاول هـذا الفـراق حتـى كـاد الأميـر يتـوهم أن هـذا البـين فـي تطاولـه , يوشك أن يصل إلى نهاية الحياة الدنيوية :

ألا هل لهذا البين من أخر ؟ فقـــــد

تطاول , حتى خلت هذا إلى اللحـــــد *2*

و يقـف الأميـر فـي حبـه موقـف المـذنب المـتهم الـذي حكمـت عليـه حبيبتـه بعقوبـة البعـد و الفـراق . و قـد طالـت مـدة هـذه العقوبـة , حتـى خشـي الأميـر من نسيان حبيبته له , و عندها لا يرجى له شفاء أبدا :

فإن كان هذا البعد , تأديب مذنـــب

فإنا بهذا القدر , صرنا على شفـــا

و إنا لنخشى إن تطاول بعدكـــــم

يصير لكم سلوى , فلا يرتجى شفـــا *3*

8- ذل الأميـــــــر :

و لا يقـف الأميـر فـي حبـه عنـد حـدود المقارنـات و المقـابلات بينـه , و بـين حبيبتـه , و الحـديث عـن حرمانـه , و عـن محبتـه الليـالي . بـل يتعـدى كـل ذلـك إلـى الرضـا بحيـاة الـذل . و كلمـا ازداد الأميـر ذلا ازدادت الحبيبـة تيهـا و عـزا و هجرانـا *4* فلـيس للاميـر إلا الإسـتغاثة فينـادي نـداء الحنـين و الأنين و الرحمة :

---

1 زكريا صيام : ديوان الأمير عبد القادر الجزائري ص 144

2 المرجع نفسه ص 147

3 المرجع نفسه ص 242

4 فؤاد صالح السيد : المير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص 221

و أخضع ذلة فتزيد تيهـــــــا

و في هجري أراها في اشتـــــداد

فما تنفك عني ذات عـــــــز

و ما أنفك في ذلي أنـــــــــادي *1*

فكيـف رضـي الأميـر بهـذا الـذل ؟ و لمـاذا رضـي بـه ؟ يحـاول الأميـر أن يجيـب عـن تسـاؤلاتنا هـذه بتعريـف الـذل فـي الحـب . فغـن هـذا الـذل لا يجلـب العـار للمحـب العاشـق , فهـو ذل محبـب , و هـو سـبيل مـن السـبل المؤديـة إلى رضا المحبوب :

فما في الذل للمحبوب عـــــار

سبيل الحب ذل للمـــــراد

رضا المحبوب ليس له عديـــل

بغير الذل ليس بمستفـــــاد *2*

9- الدهر و دوره في الحب : و نتيجة لكل ذلك لا يملك الأمير من أمره سوى التعلل بالأماني و الأمال , راضيا من دهره , و متوسلا غليه أن لا يكون بخيلا معه بل يسمح بلقاء بين الشاعر , و بين محبوبته : *3*

أروح نفسي بالأماني راجيـــا

سماحة دهر ضن يرجع كالخـــال *4*

و علـى هـذا فـإن مصـير شـاعرنا فـي حبـه رهـن بكـرم الـدهر , الـذي يتمنـى الشـاعر لـو أنـه يجـود باللقـاء , ولكـن مـا العمـل ؟ و الـدهر دائمـا يجـري بمـا لا تشتهي الأنفس :

ألا هل يجود الدهر بعد فراقنا ؟ فيجمعنا و الدهر يجري إلى الضد *5*

---

1 زكريا صيام : ديوان الأمير عبد القادر الجزائري ص 134

2 المرجع نفسه

3 فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص 222

4 زكريا صيام : ديوان الأمير عبد القادر الجزائري ص 266

10- كثرة تساؤلاته و نداءاته :

و يتميز غزل الأمير بكثرة تساؤلاته الحزينة , و نداءاته الباكية , فلا يفتأ يسائل نفسه الملتاعة , و يناجيها مناجاة العاشق الذي تتأجج نار الجوى بين ضلوعه و يناجي الليل الطويل الذي لا أخر له , و النجوم التي يتخذها سميرا له , في لياليه الطويلة *1*

إلام فؤادي بالحبيب هتورا و نار الجوى بين الضلوع تثور ؟

و حزني مع الساعات يربو مجددا و ليلي طويل و المنام تفور

و حتى متى أرعى النجوم مسامرا لها دموع العين ثم تفور ؟

11- العتاب :

و تبرز في شعر الأمير الغزلي ميزة العتاب و المعاتبة , و دواعي العتاب عنده كثيرة , فالهجر و الوصل و الفرقة و الجمع , و الوعد و الأخلاق كلها طريق من طرق المعاتبة , من هنا كان العتاب ألزم بالحب . و كأنه الغذاء الروحي الذي يمد الحب : *3*

سبيل الهوى : هجر و وصل و فرقة و جمع و خلق بالزيارة و العتب

و هذي دواع للعتاب كثيرة لذا كان طول العتب ألزم للحب *4*

12- وفاء الأمير لحبيبته : و يصل الحب عند الأمير إلى ذروة العذرية في وفائه لحبيبته , فمنذ أن كان الأمير فتا يافعا ملك الحب نفسه , و ظل على حاله . و ٌد أصبح الأن على عتبة الكهولة :

فراق الذي أهواه كهلا و يافعا و قلبي خلي من سعاد و من هند

فحلت محلا لم يكن حل قبلها و هيهات أن يحلل به الغير و يجدي *5*

---

1 فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري , متصوفا و شاعرا ص 222

2 زكريا صيام : ديوان الأمير عبد القادر ص 208

3 فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص 223

4 زكريا صيام : ديوان الأمير عبد القادر الجزائري ص 115

5 المرجع نفسه ص 146

13- دواء الحب : و جرى حديث الحب في مجلس المير , و هو بفرنسا ة اختلف فيه : هل طبيعة أم مرض ؟ و إذا كان مرضا , فهل له شفاء ؟ و نظم الشيخ محمدالشاذلي القسنطيني هذه الفكرة الأخيرة , فكرة شفاء الحب , و بعث بها إلى الأمير قائلا :

أيا أهل فن الطب بالله خبروا أيوجد للصب التحيل دواء؟ *1*

و يرى الأمير أنه ليس على المحب إلا أنه يتخذ من سيرة العشاق الذين سبقوه مثالا لا يحتذى به , و هو الصبر .
و من خلال معالجة هذه الخصائص تبين لنا غياب ظاهرتين من ظواهر الغزل :
الأولى : غياب الأوصاف الجسدية : بحيث تختفي صورة الحبيبة عند الأمير اختفاء يكاد يكون كليا مطلقا . فنحن نكاد لا نعرف شيئا عن هذه الحبيبة التي هام بها .و ربما تطرق الأمير أحيانا إلى وصف بعض المظاهر الخارجية للحبيبة و لكن تبقى هذه الأوصاف القليلة ضمن نطاق العموميات لا الخصوصيات , و التلميحات و الإشارات , لا التصريح المباشر و الصريح و هذه الأوصاف لا تكون في مجملها الصورة المادية الحسية أو الصورة النفسية لهذه الحبيبة .
و سنذكر بعض الأوصاف التي تطرق إليها الأمير في شعره الغزلي و هي قليلة و نادرة جدا *2*
أ - إشراقة الوجه : فوجه حبيبة الأمير يشبه النهار في ضيائه و إشراقه :
و يسلبني الحياة إذا تبدى بوجه في الإضاءة كالنهار *3*

---

1 زكريا صيام , ديوان الأمير عبد القادر الجزائري ص 94
2 فؤاد صالح السيد , الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا , ص 224

3 زكريا صيام , ديوان الأمير عبد القادر الجزائري , ص 160

ب : تخديش الخدود : حيث يستهجن الأمير الوجه المخدش , حتى لكأن الطهارة الفطرية فيه قد لوثت و نست :

ألا فاتركوا ورد الخدود و شأنـــــــه

فتخديشكم في الخد أقبح فعلـــــــة *1*

ج- جمال الحبيبة : حيث كانت حبيبته جميلة , إلا أن الأمير لم يحدد هذا الجمال , و لم يوضحه و لم يتناوله في شعره , علما أن الجمال نسبي , لا حقيقة مطلقة , ثابتة فيه .

و ماذا ؟ غير أن له جمـــــــــالا تملك مهجتي ملك الســـــواد *2*

د- الظبـــي و الغـــزال : شـــبه الأميـــر حبيبتـــه بـــالظبي و الغـــزال , و غيـــاب ظـــاهرة الأوصـــاف الجســـدية فـــي غـــزل الأميـــر ليســـت غريبـــة , لأنـــه غـــزل عفيف و طاهر .

الثانيـــة : غيـــاب العـــذال و الوشـــاة : حيـــث لا نجـــد لهمـــا أثـــر فـــي القصـــائد الغزليـــة للأميـــر , علـــى عكـــس وجودهمـــا فـــي قصـــائد الغـــزل العـــذري القـــديم , و يرجع ذلك لسببين :

1- نفســية الأميــر المتعاليــة علــى القــادة العظمــاء , التــي تفســر عــدم , العــذال و الوشاة في قصائده الغزلية .

2- ســبب تنظــيم الأميــر لقصــائده الشــعرية لــيس ينــل الشــهرة *3* بــل هــو التعبيــر عــن تجربتــه الغراميــة التــي عاناهــا و عايشــها , و لا أثــر للعــذال و الوشاة فيها .

---

1 فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص 224 -225

2 زكريا صيام : ديوان الأمير عبد القادر الجزائري ص 134

3 فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص 225

حضور المرأة في وجدان الأمير :

قال الأمير : " النساء مظهر مرتبة الإنفعال , فإن الكمال يكون في النساء , كما شهد بذلك رسول الله - ص- فليس الكمال خالصا بالرجال , جاء هذا في معرض تناوله للأية " و إن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه و جبريل و صالح المؤمنين و الملائكة بعد ذلك ظهير ...." فالخطاب لعائشة و حفصة .... حيث جعل تعالى نفسه في مقابلتها نصرة لرسول الله -ص - مع جبريل ....." *1*

تفيد سيرة الأمير أن عاطفة الحب التي حملها بين جوانحه لوالدته كانت كبيرة , و مما نسجله للأمير في هذا الصدد من خلال بعض ما أشار عنها أنها كانت سيدة ذات حضور بارز على صعيد الأسرة , فكونها السيدة الأولى في بيت كان يضم نساء عديدات -ضرائر - و أبناء و بنات , و كان في حد ذاته عاملا من عوامل تبريزها , و جعل ظلال شخصيتها تمتد فوق حياة الأسرة بكاملها - أفراد و مجموعات - ثم إن الأسرة التقليدية - كما نعلم - كانت تركز الصلات بين أفرادها على المحبة و التبجيل لا سيما تبجيل الشخصيات الركنية : مثل الوالدين و كبار الأبناء *2*

و منه فإن والدة الأمير كانت هي الركن الأساسي الذي أوى إليه يبدد كربه ووحشته و يستمد منه أسباب الصمود و الثبات , فلقد عمرت والدة الأمير و عاشت معه في المنفى و ظلت السند المعنوي و العاطفي الذي يستمد منه الطاقة على الدوام

---

* سورة التحريم . الأية 4

1 عشراتي سليمان : الأمير عبد القادر المفكر , دار الغرب للنشر و التوزيع , ط 3, سنة 2009 , ص 224

2 المرجع نفسه ص 225

و يمكننا أن نقول الشيء نفسه عن زوجة الأمير و عن بعض أخواته , فأما زوجته و ابنة "عمه " فإن خير معبر لمكانتها و درجة إعزازه لها هي أشعاره .

فقصيدة "أم البنين " هي في الواقع لوحة من العاطفة التي تمجد المرأة لا بوصفها قرينا فحسب , و لكن بصفتها شطوا من الروح و طرفا من الكينونة و الوجود , و سنعرف حين نتدارس شعر الأمير مستنبطان خطاب القلب حين يتوجه إلى الزوجة المحبوبة , و يبثها أشجانه و يشتكيها أوجاعه , إذ سنجد أن الكلمة هناك فعلا تقاطعت مع الحلم و سبحت في أفق الرمز و أعلن المكانة للمرأة التي في رحاب مملكة القلب إلى درجة مفتوحة على واجهة عريضة من معاني العظمة .

على أن علاقة الأمير الإنسان بالمرأة ظلت سوية لا قصور فيها و لا تقصير , لقد طبع الإسلام بتربيته الراقية علاقة الذكر بالأنثى فأوجب على الرجل الزوج أن يفي بالحق الطبيعي و البيولوجي و العاطفي للمرأة , و هو ما رأينا الأمير يشير إليه حين أكد وجوب احترام المرأة *1*

و نشير إلى أن كتابات الأمير عبد القادر كانت على مستوى من التعفف الخطابي بحيث لم نره يتحدث عن المرأة إلا بأدب . إذ المرأة في نظر الإسلام لها مكانة كبيرة و إنها النصف المكمل لأدمية البشر .

---

1 المرجع السابق : ص 227- 228

فلقد تغزل الأمير بالأنثى و لكن تغزلا لم يبتعد عن المستوى المعنوي , بحيث لم تظهر المرأة قط في ما كتب الأمير على أنها جسد و مفاتن موصوفة , إن الأمير حين يفتتن بالمرأة , و أشتد أفتتانه بها , يعرب عن مشاعره انطلاقا من رؤية قيمية لا تسف إلى الحسية أبدا , بل تظل ثملة بالجمال كمعنى و كأوصاف تتعدى حدود الجسد .

على أن الذي يعنينا هنا , هو إبراز مدى ارتباط المرأة في وجدان الأمير , حيث أن المرأة ظلت متصلة بالأمير بصلة استشرافية , تنزيهية فأشعاره كما سنرى تجعل من ابنة العم الموضوع المركزي في شبكة المواجد و الهموم التي أحاطت بالأمير عبر أطوار حياته إذ كان التغني بحب أم البنين متنفسا ملهما فكانت صورتها طيفا يختزل حلم الوطن و الحرية , و كان استدعاء شمائلها موقفا يستجمع معاني الخير و الإخاء

و السلام السلام التي عشقها الأمير و عاش بجسدها بمواقفه *1*

ومن هنا أمكننا القول : إن المرأة في وجدان الأمير قد تكرست لها منزلة الرمز و الدلالة المفتوحة على معاني الجهاد و الصبر و الإنتصار

---

1 المرجع السابق : ص 228 , 231 , 232

و في الأخير نستنتج أن الأداء الأميري في رحاب الغزل كان عذريا , يتسم بالطهارة , أي طهارة الروح بعيدا عن ابتذال الجسد فهو اختار كتابة نص الخلود (الروح) لا نص الغناء (الجسد) فالأمير كان يحمل قلبا مليئا بالحب الدافئ , هاته الأحاسيس و المشاعر , كانت من دون شك لإمرأة خفق لها قلبه , و أحبها فتفيض نفسه حبا و تفيض مدامعه شوقا , فيقول متغزلا في قصيدة " جودي بطيفي " مناجيا زوجته :

جفاني من أم البنين خيـــــــــال

فقلبي , جريح و الدموع سجـــــــال

أحب الليالي كي أفوز بوصلهـــــا

و أرجو المنى بل , قد أقول أنـــــال

أكلف جفني النوم علـــى أن أرى

مثالا لها يسري , و ليس مثـــــــال *1*

و هذه الأبيات كانت من قلب الأمير إلى زوجته و حبيبة قلبه و ابنة عمه "أم البنين "

---

1 ديوان الشاعر الأمير عبد القادر الجزائري , تحقيق العربي دحو ص 60

الفصل الثاني : التجربة الصوفية .

بعد أن تناولنا التجربة الغزلية في الفصل الأول ، يجدر بنا الآن أن ندرس التجربة الصوفية لما فيها من جماليات و تداخل و معطياتها مع التجربة الغزلية . فما هو التصوف ؟

1- التصوف:

الصوفية أو التصوف وفق الرؤية الإسلامية ليست مذهبا ، و إنما هي أحد أركان الدين الثلاثة (الإسلام ، الإيمان ، الإحسان) "1" فمثلما اهتم الفقه بتعاليم شريعة الإسلام ، و علم العقيدة بالإيمان ، فإن التصوف إهتم بتحقيق مقام الإحسان (و هو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فهو يراك) "2"

و هو منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول الى الله ، أي الوصول الى معرفته و العلم به ، و ذلك عن طريق الإجتهاد في العبادات و إجتناب المنهيات ، و تربية النفس ، و تطهير القلب من الأخلاق السيئة ، و تحليته بالأخلاق الحسنة ، و هذا المنهج كما يقولون أنه يستمد أصوله و فروعه من القرآن و السنة النبوية ، و اجتهد العلماء فيما لم يرد فيه نص . فجعلوه علما سموه " علم التصوف ،أو علم التزكية أو علم الأخلاق " ، فألفوا فيه الكتب الكثيرة ، بينوا فيها أصوله و فروعه و قواعده ، و أشهر هذه الكتب:

"قواعد التصوف " "للشيخ أحمد رزق : ، و " إحياء علوم الدين " "للإمام الغزالي " و " الرسالة القشيرية " " للإمام القشيري "

"1" العربية نت : الداعية السعودي عبد الله مدعق ، الصوفية الركن الثالث في الدين الإسلامي . تاريخ الوصل 11 يونيو 2010 .

"2" حديث رواه مسلم في صحيحه .

و انتشرت الصوفية في العالم الإسلامي في القرن الثالث عشر الهجري كنزعة فردية تدعو الى الزهد و شدة العبادة ، ثم ت طورت تلك النزعة بعد ذلك حتى صارت طرقا عديدة متنوعة معروفة بإسم " الطرق الصوفية " ، و التاريخ الإسلامي زاخر بعلماء مسلمين انتسبوا للتصوف مثل : النووي و الغزالي و العز بن عبد السلام . و كذلك القادة مثل : صلاح الدين الأيوبي و محمد الفاتح ، و الأمير عبد القادر الجزائري و غيرهم .

التصوف : لغة :

الصوف : للضان و ما أشبهه ، الجوهري ، الصوف للشاة و الصوفة أخص منه ، إبن سيدة : الصوف للغنم كالشعر للمعز ، و الوبر للإبل ، و الجمع أصواف و كبش أصوف " 1"

صوف " صاف " صوفا : كثر صوفه (صافت نعجة)

صوف : ج أصواف : شعر كثيف ناعم جعد يغطي جلد الضأن " صوف خروف "

صوفة : قطعة من الصوف .

صوفية : نبات عشبي من فصيلة النجليات .

صوفين : مادة زيتية أو شمعية تستخرج من صوف الغنم " 2 " و تستعمل في تحضير المراهم و المعاجين و الصابون .

" 1 " ابن منظور : لسان العرب ، خالد رشيد القاضي ص 408 .409

"2" المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، دار الشرق، بيروت، ط2 2001 ص 864

تصـــوف : صـــار صـــوفيا : تصـــوف طريقـــة فـــي الســـلوك تعتمـــد علـــى التزهـــد و التقشـــف و التحلـــي بالفضـــائل تزكيـــة للـــنفس و ســـعيا الـــى مرتبـــة الفنـــاء فـــي الله "1"

- صـــوفية : علـــم التصـــوف ، مجموعـــة المبـــادئ التـــي يعتمـــدها المتصـــوفة ، و الآداب التي يتأدبون بها في مجتمعاتهم .

- متصـــوف : مـــن يتبـــع طريقـــة التصـــوف ، فيتزهـــد ، و يتقشـــف و يمـــارس الفضائل لتزكو نفسه و يتمكن من الإتصال بالله تعالى "1"

- و لقـــد كثـــرت الأقـــوال فـــي اشـــتقاق التصـــوف عنـــد المســـلمين علـــى عـــدة أقوال أشهرها :

أنـــه مـــن الصـــوفة : لأن الصـــوفي مـــع الله كالصـــوفة المطروحـــة لاستســـلامه لله تعالى .

- أنـــه مـــن الصـــفة : اذ أن التصـــوف هـــو اتصـــاف بمحاســـن الأخـــلاق و الصفات ، و ترك المذموم منها .

- أنـــه مـــن الصـــف : فكـــأنهم فـــي الصـــف الأول بقلـــوبهم مـــن حيـــث حضـــورهم مع الله ، و تسابقهم في سائر الطاعات .

- أنـــه مـــن الصـــوف : كـــانوا يكثـــرون لـــبس الصـــوف الخشـــن للتقشـــف و الإخشيشان .

- أنـــا مـــن الصـــفاء : فلفظـــة " صـــوفي " علـــى وزن "عـــوفي " أي عانـــاه الله فعوفي "2"

و قـــد أرجـــع البـــاحثين المختصـــين بعلـــوم الـــديانات القديمـــة مـــن غيـــر المتصـــوفة الكلمـــة الـــى أصـــل يونـــاني ، و هـــو كلمـــة "ســـوفيا " و معناهـــا : الحكمة و أول من عرف بهذا الرأي هو البيروني .

"1" المنجد في اللغة العربية المعاصرة ص 864

"2" أنظر ، محمد علي الكندي ، في لغة القصيدة الصوفية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، 2010 ص 44 .

فالصوفية نشات نشاة بسيطة تحمل قيما انسانية تهدف الى تصفية الباطن و الظاهر من الأرجاس و الأهجاس و تسعى نحو الكمال البشري بوسائل مادية و روحية و هي بهذا تجسد قيما انسانية ، أكدها الإسلام و حث عليها " 1"

فالتصوف في الاصطلاح هو :

أن الصوفي كان في بادئ الأمر مرادفا للزاهد و للعابد و الفقير حيث لم يكن لهذا اللفظ معنى يزيد على شدة العناية بامر الدين و مراعاة أحكام الشريعة ، و تأكيدا لذلك يقول الأستاذ مصطفى عبد الرزاق" كان التصوف طريقا من طرق العبادة يتناول الأحكام الشرعية من ناحية معانيها الروحية و آثارها في القلوب فهو يقابل على الفقه الذي يتناول ظواهر تلك العبادات و رسومها . ثم انتقل التصوف فأصبح طريقا للمعرفة يقابل طريق أرباب النظر من المتعلمين " . و في ذلك قال ابن القيم " إن هذا العلم مبني على الإرادة ، فهي اساه و مجمع بنائه ، و هو يشتمل على تفاصيل أحكام الإرادة و هي حركة القلب ، و لهذا سمي علم الباطن ، كما أن علم الفقه يشمل على تفاصيل أحكام الجوارح و لهذا سمي علم الظاهر " "2"

- الصوفية منذ عصر الصحابة كانت تستمد أصولها من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة تحت عدة تسميات كلها وردت في القرآن الكريم "المقربون . السابقون الله من الأولين و قليل من الآخرين " .

"1" محمد علي الكندي : في لغة القصيدة الصوفية ، ص 45

"2" بودواية بلحيا : التصوف في بلاد المغرب العربي ، دار القدس العربي ، ط 1 سنة 2009 ص 9 – 10

و قال المصنف : الصوفية من جملة الزهاد و قد ذكرنا إبليس على الزهاد ، إلا أن الصوفية انفردوا على الزهاد بصفات و أحوال بسمات فاحتجنا الى افرادهم بالذكر ، و التصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي . و كانت في زمن الرسول صلى الله عليه و سلم نسبة الى الإيمان و الإسلام ، فيقال مسلم و مؤمن ، ثم حدث اسم زاهد و عابد .

و يقول أبو بكر الصديق " إن التصوف الإعتصام بالحقائق عند تباين الطرائق "

و قيل :" أحوال قاهرة ، و أخلاق طاهرة ، و حقائق ظاهرة " .

و قد قيل أن التصوف نفرّ العبد بالواحد الصمد . و قيل كذلك : التصوف ، تطليق الدنيا بتاتا ، و الإعراض عن من بها ثباتا

- و يقول عثمان بن عفان : " التصوف الصبر على مرارة البلوى ليدرك به حلاوة النجوى "

و قال : " التصوف الإكباب على العمل . تطرقا الى بلوغ الأمل " .

و يقول جعفر بن أبي طالب : " التصوف ، الإنفراد بالحق عن ملابسة الخلق ". "1"

إن التعاريف المتقدمة تفصح عن الغاية المتوخاة جراء تلك الرياضات الروحية و البدنية و تؤسس لعلاقة بديلة و غاية كريمة نبيلة تكون ثمرة طبيعية ، و نتيجة منطقية .

"1" جمال الدين ابن الفرج عبد الرحمان ابن الجوزي البغدادي : تلبيس إبليس ، الدراسة و التحقيق و التعليق ، السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، 1423 ، 2001م ص145 .

اشتقاقهـــــــــا : و لقـد اشـتقت لألفـاظ عديـدة منهـا : الصـفاء ، الصـفوة ، الصـوفانة ، سـوفيا ، صـوفة القفـا ، الصـوفة المرميـة ، لبـؤ صـوفة ، الصوف .

و هنـاك مـن يضـيف ألفاظـا يـرى أنهـا قـدمت بوصـفها أصـلا لكلمـة " صـوفي " و يـرى أن اشـتقاق الصـوفي مـن الصـف " بمعنـى ان الصـوفي مـن حيـث الروحانيـة يعتبـر فـي الصـف الأول بـين يـدي الله تعـالى أو لاتصاله به عز و جل .

- و الصـفاء و الصـفو – مـثلا – الـذي اقتـرح أن يكـون أصـلا لاشـتقاق صـوفيّ ، بمعنـى أن الصـوفي هـو أحـد خاصـة الله الـذين طهـر قلـوبهم مـن كدرات الدنيا . "1"

- و الصـفة التـي انتسـب المتصـوفة الـى أهلهـا عبـارة عـن سـاحة بجـوار المسـجد بنيـت مـن ثـلاث جهـات و سـقفت بسـعف النخيـل ، لتكـون مسـكنا لجماعـة المهـاجرين الأوائـل الـذين لا يجـدون مسـكنا يـأويهم ، و يقـيهم حـر الصيف و برد الشتاء .

- و صـوفة القفـا : علـى اهمـال حلاقـة مـؤخر الـرأس - كمـا يـذهب د . الشـيبي – أو علـى الصـوفة السـفلى مـن قـدم الشـاة الخلفيـة ، كمـا يـذهب غيـره ، و كـذلك " الصـوفة المرميـة " التـي تشـير الـى الإهمـال و عـدم الأهميـة ، و إن كانـت ملمحـا محـدودا مـن الفكـرة الصـوفية التـي تعتمـد إنكار الذات و التلاشي وسط الجموع .

" 1 " محمد علي الكندي ، في لغة القصيدة الصوفية ، ص 44 .

أمـــا " بنـــو صـــوفة " فالمصـــادر التاريخيـــة و الأدبيـــة تشـــير الـــى أنهـــم ينســـبون الـــى "ربـــيط الكعبـــة " الغـــوث بـــن مـــرة الـــذي كانـــت لـــه الإجـــازة بـــالحج ، و انمـــا ســـمي الغـــوث بـــن مـــرة " صـــوفة " لأنـــه لـــم يكـــن يعـــيش لأمـــه ولـــد ، فنـــذرت ان عـــاش لهـــا لـــتعلقن برأســـه صـــةفة و لتجعلنـــه ربـــيط الكعبـــة ، فلمـــل فعلت قيل له من بعد " صوفة "

و كـــذلك نســـبة الـــى لبـــاس الصـــوف الدالـــة علـــى الزهـــد و التقشـــف فـــي كـــل شيء "1"

أ- التصوف لدى المتصوفة أنفسهم :

و قـــد اختلفـــوا كثيـــرا فـــي تعريفـــه كمـــا اختلفـــوا فـــي أصـــله و اشـــتقاقه ، حتـــى تناقضـــت و تعارضـــت تعريفـــاتهم ، فمـــن المتصـــوفة الـــذين الـــذين أوردوا تعريفات عدة للتصوف .

1- معـــروف الكرخـــي * : و قـــد عرفـــه بمـــا يلـــي " الأخـــذ بالحقـــائق و اليـــأس مما في أيدي الخلائق " ."2"

2- الجنيـــد : و عرفـــه بمـــا يلـــي :" التصـــوف تصـــفية القلـــب عـــن موافقـــة البريـــة ، و مفارقـــة الأخـــلاق الطبيعيـــة و إخمـــاد الصـــفات البشـــرية و مجانبـــة الـــدواعي النفســـانية و منازلـــة الصـــفات الربانيـــة ، و التعلـــق بعلـــوم الحقيقـــة و اتباع الرسول "ص" في الشريعة "3"

"1" المرجع السابق ص46

"2" السروردي : عوارف المعارف، دار المعارف ، بيروت ، ص 62

"3" الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف . مكتبة الكليات الأزهرية ط 1 ص 34

* الكرخي : أحد الدعائم الكبرى في الصرح الصوفي ولد من أبوين فارسيين نصرانيين .

ب- التصوف لدى غير المصوفة من المسلمين :

لقد عرف الدكتور " ابراهيم هلال " التصوف بما يلي : فقال " رغم كثرة التعريفات التي عرف بها التصوف الاسلامي في كتب التصوف و غيرها ، فاننا لا نستطيع أن إن التصوف كما يراه الصوفية ، في عمومه هو السير في طريق الزهد ، و التجرد من زينة الحياة ، و شكلياتها و أخذ النفس بأسلوب من التقشف و أنواع من العبادة و الجوع و السهر في الصلاة أو التلاوة . حتى يستضعف في الإنسان الجانب الجسدي و يقوى في الجانب النفسي أو الروحي ، فهو اخضاع الجسد للنفس سعيا الى تحقيق الكمال النفسي كما يقولون و الى معرفة الذات الإلهية و كمالاتها ، و هو ما يعبرون عنه بمعرفة الحقيقة " "1".

أي أن التصوف هو التفرغ لعبادة الله وحده و التخلي عن ملذات الدنيا .

- أسس التصوف : وردت أسس التصوف عند " بومدين "أربعة و هي : الزهد ، المحاسبة ، الإخلاص ، المراقبة .

الزهد : فضيلة و فريضة و قربة ، المحاسبة : هي أن يحاسب الإنسان نفسه على كل عمل يأتيه فيزنه بميزان الشرع ، الإخلاص و المراقبة هي اليقين بأن الله عليه رقيب ، فعليه بالتوبة الصادقة حيث ينبثق عنها الإخلاص كأنه جزء منها ، ثم ينفرع عنها في الجانب المادي "2"

أي أن التصوف هو طهارة القلب و النفس و الضمير و التفرغ الى عبادة الله عزّ و جلّ وحده

"1" ابراهيم هلال : التصوف الإسلامي بين الدين و الفلسفة ، دار النهضة العربية ، الأولى 1395 هـ ، ص1.

"2" بودواية بلحيا : التصوف في بلاد المغرب العربي . ص 11.

و قد شاع مصطلح " تصوف " في القرن الثاني لكنه انتشر في القرن الثالث أي في العصر الذي عبد فيه الهوى و انحراف الناس عن آداب الإسلام و جنح الأمراء و ولاة الأمر الى العتو و مال الجميع الى مفاتن الملذات و كأن وجود المتصوفة في ذلك العصر و انتشار التصوف فيه نقص لما يذهب نقص الى ما يذهب اليه نفر من العلماء بأن الناس ابناء بيئتهم ، و أن هناك أناسا هم في نفوسهم لهم شخصيتهم ، و روحهم و استقلالهم الذاتي في طليعة هؤلاء رجال الله الذين هم على ايمان بربهم و يدعون الى الخير و]امرون بالمعروف و ينهون عن المنكر .

- فالمتصوفة قوم هجروا الدنيا فأنالهم الله أطيب عيش ، و هم اذ خافوا الله فقد حامهم من كل شر.

- و يقول " ابن خلدون " في مقدمته " التصوف علم من علوم الشريعة ، و اصله الى طريقة هؤلاء القوم لم تزل عن سلف الأمة و كبارها من الصحابة ، و التابعين و من بعدهم طريقة الحق و الهداية و أصلها العكوف على العبادة و الإنقطاع الى الله تعالى ، و الإعراض عن زخرف الحياة و زينتها ، و الزهد فيها يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه ، و الإنفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، و كان ذلك عاما في الصحابة و السلف ..." "1" .

و للنصوص صفات أهمها :

"1" جواد المرابط : التصوف و الأمير عبد القادر الحسيني الجزائري ، دار اليقضة العربية ، سوريا ، 1966 ص 53، 54

- ألإخلاص و طهارة القلب:قال تعالى" مخلصين له الدين حنفاء " "1".

-الخشية من الله تعالى:قال تعالى:" إنما يخشى الله من عباده العلماء ""2"

- الخشوع لله : قال تعالى :"خاشعين لله " "3"

- التواضع للمخلوقات : قال تعال :"و أخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين " "4"

- حسن الخلق : قال تعالى :"فيما رحمة من الله لنت لهم "5"

- الزهد في الحياة : قال تعالى :"و قال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير " "6"

فالتصوف في حقيقته ايثار و تضحية ، تضحية باللذائذ و الشهوات الموجودة في الدنيا من أجل كسب الآخرة كما يقول الكرخي :" هو الأخذ بالحقائق ، و اليأس مما في أيدي الخلائق " و يقول أبو الحسن الشاذلي :" هو تدريب النفس على العبودية و ردها لأحكام الربوبية " .

و في الأخير نستنتج : أن التصوف هو صفاء النفس و محاسبتها ، حيث يحاسب الإنسان نفسه قبل أن يحاسبه الله تعالى .

"1" سورة البينة ، الآية (5)
"2" سورة فاطر ، الآية (28)
"3" سورة آل عمران ، الآية (199)
"4" سورة الشعراء ، الآية (215)
"5" سورة آل عمران ، الآية (159)
"6" سورة القصص ، الآية (80)

التصوف عند الأمير عبد القادر الجزائري :

قبل التعرف على التصوف عند الأمير عبد القادر ، يحسن بنا أن نقدم الحديث بمقدمة تمهيدية نتحدث فيها عن التصوف عند المتصوفين المسلمين .

من الواضح أن التصوف الإسلامي لا يمكن حصره بتعريف جامع شامل ، و إن المتصوفين لن يعرفوا التصوف الا من خلال أحوالهم و مجاهداتهم التي عايشوها و اختبروها و قد بلغت هذه التعاريف من الكثرة العددية حتى قال أحد شيوخ التصوف ، إن التصوف " حد و رسم و فسر بوجوه تبلغ نحو الألفين مرجع كلها أن التصوف صدق التوجه الى الله بما يرضاه من حيث يرضاه " "1" .

و عرفه "القصاب " (2) بقوله :"هو أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام " و قد سئل " الجنيد " "3" عن التصوف فقال : " أن تكون مع الله بلا علاقة "

- أما التصوف عند شاعرنا الكبير الأمير عبد القادر فهو " جهاد النفس في سبيل الله ، أي لأجل معرفة الله و ادخال النفس تحت الأوامر الإلهية ، و الإطمئنان و الاذعان لأحكام الربوبية ، لا لشيء آخر من غير سبيل الله " "4" و بالإضافة الى أنه

"1" فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا . ص 114

"2" القصاب : محمد بن علي القصاب أو جعفر البغدادي و هو من المتصوفة كان أستاذ الجنيد ، توفي سنة 275 هـ 888 م .

"3" أبو القاسم بن محمد بن الجنيد الخزاز القواريري : ت بغداد 289 هـ 910 م .

"4" فؤاد صالح السيد ، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ، ص 115

يوجه تحذيره الى الصوفي الذي يجاهد نفسه بالرياضات الشاقة لأجل طلب جاه عند الملوك أو لصرف وجوه العامة إليه ، أو حصول غنى ، او نحو ذلك من الحظوظ النفسية . حيث أن المتصوفة في نظر الأمير هم هؤلاء الذين عليهم أن يكونوا في جميع أحوالهم و تصرفاتهم حاضرين مع الله تعالى "1" ضف الى ذلك أن التصوف عند الأمير هو :" جهاد النفس في سبيل معرفة الله عن طريق الرياضات الشاقة و العبادة الخالصة لله و الحضور الدائم مع الله "

الأسباب التي حملت الأمير على سلك طريق التصوف :

إن الأسباب التي حملت الأمير على سلك ظريق التصوف كثيرة ، و متنوعة ، و لا بأس من استعراضها مجتمعة ، ثم تناولها بالتفصيل . لأن دراسة الأسباب هي الباب الذي ندخل منه الى عالم الأمير الصفي :"2"

1- نزعته الإنسانية .

2- انتماؤه الى آل البيت النبوي .

3- تربيته الدينية .

4- ايمانه الشديد بالقضاء و القدر .

5- محاربته التقليد و المقلدين .

6- تركه الحياة السياسية و العسكرية بعد استسلامه .

7- عزله في اسره " بامبواز " بفرنسا .

"1" الأمير عبد القادر :المواقف ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، وحدة الرغاية ، الجزائر ، 1996 الموقف 12 ص 15 .

"2" فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر متصوفا و شاعرا ، ص 116

1- نزعته الإنسانية :

و هي النسب الإرادي الحقيقي ، الذي أراده الأمير ان يكون صلة الوصل بينه و بين أخيه الإنسان شرقي كان أم غربي أم أوروبي ، مسلم أم مسيحي ، إذ أن أساس الديانة و أصولها فيها خلاف بين الأنبياء ، من آدم الى محمد صلى الله عليه و سلم ، فكلهم يدعون الخلق الى توحيد الإله و تعظيمه .

و إن المتأمل في التسامح الديني الذي عرف به الأمير في وجوده في الجزائر و خارجها منفيا ، يدرك أن الرجل كان على مستوى من الوعي الإنساني ، المتفهم لحقيقة الإنسان و الإنسانية التي لا تؤمن بالحدود و الحواجز ، و العراقيل بين البشر .

و أكثر ما تبدو نزعة الأمير الإنسانية ، في قصائده الصوفية التي أكد في بعضها على وحدة الأديان السماوية . فهو تارة مسلم زاهد و تارة أخرى راهب يسرع الى الكنائس فلقد اختار أوسط الأمور . "1"

و هذه النزعة الإنسانية ، هي أحد الأسباب و العوامل المساعدة لتغذية و تنمية اتجاه الأمير الصوفي .

2- انتماؤه الى البيت النبوي :

و هو السبب العفوي الطبيعي ، الذي لا ارادة للأمير به ، فمنهم من ذكر أن نسبه النبوي الشريف تارة حسني و تارة أخرى حسيني "2" بالإضافة الى أن الأمير قد افتخر بهذا النسب النبوي الشريف . و اظهر فخره هذا في العديد من القصائد الفخرية و الحماسية .

"1" المرجع السابق ص 118
"2" المرجع نفسه ص 118

أما موقفه من أهل البيت عامة فيبدو لنا في شرحه للآية الكريمة " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا " "1" حيث قال : " تأمل هذه العناية الكبرى ، و المنقية العظمى ، و المنزلة الزلفى لأهل البيت النبوي و لفظه " أهل " تعمهم من أولهم الى آخر مولود منهم ....."

3- تربيته الدينية - الصوفية -

شب الأمير عبد القادر في جو تربوي ديني ، فهو ابن الزوايا و الطرق ، فقد نشأ نشأته الأولى في مدرسة الزوايا التي أنشأه والده ، و تلقى مبادئ العلوم الدينية و الفقهية فيها .

كان طموحه الأكبر في شبابه أن يصبح مرابطا ن مثل والده الذي كان يحبه ن و يتحمس له تحمسا بلغ حد العبادة .

و قد جاهد الأمير في المرحلة الثانية من حياته في سبيل الوصول الى مرتبية الفتوة و المرابطة "2" و ما ذلك الا نتيجة التربية الدينية و الصوفية التي ربي عليها .

4- ايمانه الشديد بالقضاء و القدر .

ان إيمان الأمير بالقضاء و القدر شديد جدا ، و لعله في ذلك يتابع الرسول صلى الله عليه وسلم حين سئل عن افسلام فقال : ".....أن تؤمن بالقدار كلها خيرها و شرها ، حلوها و مرها " "3"

"1" سورة الأحزاب الآية 33

"2" فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص 120-121.

"3" محمد ابن ماجة :" السنن ، تحقيق و تعليق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحياء الكتب العربية ، ج 1 - القاهرة 1952 - 1953 ص 34 .

و نستنتج ان الأمير كان يؤمن بالقضاء و القدر ايمانا كليا ، و يتجلى ذلك فيما حققه في خلوته الصوفية .

5- محاربته التقليد و المقلدين :

ان هناك فرق كبير بين المسلم الصوفي و المسلم العادي ، ذلك أن ايمان الأول ايمان تحقيقيذوقي ، في حين أن ايمان الثاني يغلب أن يكون تقليد وراثي ، انحدر اليه من الآباء و الأجداد ، أو جاءه عن طريق التلقين و التعليم : "1"

فموقف الأمير من قضية التقليد هو أن الإنسان قد يكون محجوبا بإعتقاد سبق الى القلب ، وقت الصبا ، على طريق التقليد ، و القبول بحسن الظن ، فإن ذلك ، يحول بين القلب و الوصول الى الحقائق و يمنع أن ينكشف في القلب ما تلقاه بالتقليد ..." و منه فإن الأمير يرفض المقلدين من خلال قوله : " اذا كنت مقلدا فليس كلامي معك " "2"

فالتجديد الذي عرفه الصوفيون هو التجديد للفهم الديني و للوعي و الإصلاح ، و التجديد القائم على العودة الى جوهر الدين و اصوله و قواعده ، لا الى ظواهره ، و قشوره .

6- تركه الحياة السياسية و العسكرية بعد استسلامه :

إن المرحلة الثانية من مراحل حياة الأمير عبد القادر ، و هي مرحلة جهاده قد استنفذت الشيء الكثير من تفكيره في الأمور السياسية و العسكرية "3" و بعد انتهاء هذه المرحلة تبدأ مرحلة جديدة هي مرحلة التصوف .

"1" فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ، ص122

"2" الأمير عبدالقادر : المواقف ، الموقف 123 ص ، 81

"3" فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ، ص124

و العبادة و التجرد من متاع الدنيا الفانية .

7- عزلته في أسره "أمبواز " بفرنسا :

كانت هذه العزلة السبب الرئيسي في تصوف الأمير ، حيث كانت مرحلة هامة من المراحل التاريخية لتصوفه ، اذ كان يشغل نفسه في هذه العزلة بالدعاء و التضرع لله تعالى "1"

و في الأخير نستنتج أن هذه هي الأسباب الرئيسية و الأساسية لتصوف الأمير عبد القادر .

- إن صلة الأمير بالتصوف كانت على ثلاث مراحل :

- المرحلة الأولى : هي المرحلة التي سافر فيها الى بغداد مع المرحوم والده "السيد محي الدين " بعد أداء فريضة الحج سنة 1241 هـ ، حيث زار فيها آثار و ضريح القطب الرباني السيد عبد القادر الجيلاني "2"

- المرحلة الثانية : هي التي انتهى بها الى الأفق الروحاني بوقدة الاضطرار و الشوق في السجن أو على الأصح في خلوة " أمبواز "

- المرحلة الثالثة : و هي التي تم فيها الفتح العظيم ، و كان ذلك عندما سافر حاجا سنة 1279 هـ حيث أقام في مكة سنة و نصف مقبلا على العبادة و الخلوة ، حيث التقى فيها بالشيخ الجليل " العارف بالله محمد الفاسي " "3"

و باختصار هذه هي المراحل الي مر بها الأمير عبد القادر في اتجاهه الصوفي .

"1" الأمير عبد القادر : المواقف ، الموقف 211 ، ص 140

"2" الجيلاني ولد سنة (470هـ - 1077 م)

"3" الشيخ الجليل العارف محمد الفاسي ، رئيس الكريقة الشاذلية ، تتلمذ على يد الأمير عبد القادر الجزائري

والآن نتطرق الى المراحل تاريخيا لتصوف الأمير عبد القادر .

ان هذه المراحل قد نمت عنده نموا طبيعيا و تدرجت تدرجا سليما في تصاعدها من نقطة البداية ، بداية التوبة و الورع ، الى نقطة النهاية ن نهاية النفس الأمارة بالسوء ن حيث الشاهد و اليقين .

و إن الغاية الولى من هذا التقسيم التاريخي لتصوف الأمير ، هو بيان الظروف التريخية و الإجتماعية و النفسية ، و التي عملت في تكوين كل مرحلة من مراحل تصوفه التاريخية و هي كالتالي :

المرحلة الأولى : مرحلة التلقن و التعلم و المطالعة (1222 - 1246 هـ /1807-1830م)

و تمتد هذه المرحلة من ولادة الأمير في "القيطنة " عام 1222 هـ / 1807 م الى تاريخ نزول الفرنسيين أرض الجزائر عام 1246 هـ /1830م .

و يبدو أن أهم فترة زمنية في هذه المرحلة ، هي الفترة الممتدة بين عامي (1241 و 1243 هـ/1825-1830م) و هي فترة الرحلة المشرقية التي سافر فيها مع والده لأداء فريضة الحج ، فأتاحت له فرصة الإطلاع عن معرفة الطرق الصوفية "1" منها الطريقة النقشبندية "2" و الطريقة القادرية "3"

"1" فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص 126-127.

"2" الطريقة النقشبندية : تنتسب الى الشيخ بهاء الدين محمد بن محمزد البخاري المعروف بشاه نقشبند ، و هي عبارة عن أحد الطرق للوصول الى درجة التوحيد و هي عبارة عن دوام العبودية ظاهرا و باطنا .

"3" الطريقة القادرية : تنسب الى الشيخ عبد القادر الجيلاني ، و تمتاز طريقته بالإعتدال و التساهل ، و اتباع السنة ، و حب الخير و التواضع

- المرحلة الثانية : مرحلة الفتوة و المرابطة (1246-1264 هـ / 1830-1848 م)

قبل الحديث عن فتوة الأمير و مرابطته ن سنقدم لمحة موجزة و معبرة عن حركة الفتوة و الرباط و ارتباطهما بالتصوف ، فحركة الفتوة في الإسلام هي الصفح عن أخطاء و زلات الناس ، و أن يستخدم الإنسان قوته و شجاعته في نصرة الضعفاء و المظلومين و الفقراء ..... وقد اعتبر بعضهم أن التصوف هو الفتوة ، فحين سئل سهل بن عبد الله التستيري عن التصوف : قال : " التصوف هو الفتوة و الشجاعة و الصدق " . أما الربط و الرباط و المرابطة هي اجتماع في الثغور للدفاع عن الإسلام ، حيث اصطبغت المرابطة منذ نشأتها بصبغة دينية إذ اعتبرت نوع من الجهاد في سبيل الله . "1"

فما هي اذن فتوة الأمير ؟ و ما هي مرابطته ؟ .

كانت فتوة الأمير و مرابطته مرتبطة بالدفاع عن وطنه ضد من اعتدى عليه و أراد استعماره . أي مقاومة العدوان و دفع الاضطهاد ، و تحرير البلاد ، دون جنوح لقتال امرئ إلا من كان بيده سلاح .

المرحلة الثالثة : مرحلة التأمل و التفكير .

عندما كان الأمير أسيرا في السجن ، ضاقت عليه الأرجاء ، و لكنه ظل متمسكا بوقدة الصبر تارة و وقدة الشوق للخلاص تارة أخرى "2" و قد أشار الأمير الى هذه الرحلة

"1" فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر متصوفا و شاعرا ص129- 130

"2" المرجع نفسه ص 132

التي سماها "خلوة" "1" في كتابه المشهور " المواقف " و صور حالته النفسية التعيسة و ما كان يقاسيه من أزمات و ضسق ، و قد اعتبر كل هذا البتلاء و اختبار من الله تعالى ، ليعرف مدى صبره .

فيبدو أن هذه الخلوة قد أتاحت للأمير - لأول مرة في حياته - التأمل الصوفي و التفكير الروحاني الهدئ العميق فكان يقضي أوقاته مشتعلا بالذكر و الدعاء "2"

و تعتبر هذه المرحلة أساسية لأنها بمثابة حلقة الوصل ما بين المرحلتين السابقتين و ما يبن المرحة الرابعة و الأخيرة التي سيصل فيها الى ذروة التصوف .

- المرحلة الرابعة : مرحلة النضج و التعبير (1269-1300هـ / 1853-1883م)

بدأ الأمير عبد القادر حياته بالجهاد و النضال في ساحة الوغى ، و ختمها في هذه المرحلة الصوفية الرابعة و الأخيرة بالجهاد و النضال في مجال أعظم ، و هو جهاد النفس ، و لقد تغلغل الأمير خلال هذه المرحلة في علوم القوم و أظهر من دقائق الحقائق و عوارف المعارف ما يؤذن بسمو مقامه ، و علو قدره ، إذ كان يصوم رمضان على الكعك و الزبيب ، معتزلا عن القريب و الغريب .

و تمتاز هذه المرحلة بأنها أطول المراحل التاريخية لتصوف الأمير من الناحية الزمنية ، إذ امتدت ما يقرب الثلاثين سنة و أغناها من الناحية النتاج الأدبي و الفكري "3"

هذه هي المراحل التاريخية لتصوف الأمير ، تدرجت

"1" الأمير عبد القادر : المواقف ، الموقف 211 ص 141
"2" المصدر نفسه الموقف 211 ص 141
"3" فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر متصوفا و شاعرا ص 133

تـــدرجا تصـــاعديا فـــي ســـماء المعرفـــة الإلهيـــة ، و بـــدأت فـــي م رحلتهـــا الأولـــى تلقـــين و تعلـــيم و مطالعـــة ، ليســـت فيهـــا مـــن أثـــر للتجربـــة الروحيـــة الشخصـــية ، ثـــم تلتهـــا المرحلـــة الثانيـــة ، فكانـــت الفتـــوة و المرابطـــة أســـاس تصـــوفه العلمـــي ، و كانـــت المرحلـــة الثالثـــة نقطـــة اتصـــال بـــين المـــرحلتين الســـابقتين و المرحلـــة الربعـــة و الأخيـــرة . و بعـــد نضـــوجه الصـــوفي و الفكـــري عبـــر عـــن رحلته الصوفية ، فكانت تعبيراته ا لصوفية خاتمة المطاف .

أمـــا مـــا يقـــال عـــن تصـــوف الأميـــر ، فقـــد يكـــون فيـــه مبالغـــة فالرجـــل كـــان يريـــد تأســـيس دولـــة و إقامـــة مجتمـــع ، و قـــد يكـــون التصـــوف و دراســـته و التعمـــق فيـــه وســـيلة لمـــلء الفـــراغ القاتـــل الـــذي كـــان يعيشـــه .... و مـــع ذلـــك فإنـــه يبـــدو أن تصـــوفه كـــان عقلانيـــا - إذا صـــح التعبيـــر - فعنـــدما ســـئل عـــن عقيدتـــه فـــي الكرمات و الوسطاء أجاب :" إن ثقتي في الله وحده " . "1"

و لقـــد عرفنـــا أن الأميـــر كـــان ابـــن بيئـــة محافظـــة و أســـرة متصـــوفة ، و منطقـــة ريفيـــة منعزلـــة رغـــم أنـــه كـــان قريبـــا مـــن مدينـــة معســـكر التـــي كانـــت مقـــرا لســـلطة " بـــاي الغـــرب " ثـــم أنـــه قضـــى بعـــض الوقـــت فـــي التعلـــيم بـــوهران ..... و كـــان الأميـــر عميـــق التمســـك بالـــدين و تعاليمـــه و بنصـــوص القـــرآن و السنة ، و متمكنا من التراث العربي و الحضارة الإسلامية .

"1" شـــارل هنـــري تشرشـــل " ترجمـــة و تقـــديم و تعليـــق أبـــو القاســـم ســـعد الله :حيـــاة الأميـــر عبـــد القـــادر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2004 ، ص 15-16

بالإضافة الى أن التصوف تسام بالروح فوق كل ماديات الأرض و شهواتها ، لأن الصوفي كما يقول أديب الفلاسفة و فيلسوف الأدباء " أبو حيان التوحيدي " :" هو ذلك الإنسان الكبير الذي يتخطى الحدود التي رسمها للنوع البشري ماديته مصداقا لقول النبي الكريم " إن الله لا ينظر الى أجسادكم و لا صوركم و إنما ينظر الى قلوبكم " . حيث قال الأمير في الموقف السابع و الثمانين من كتابه المواقف تفسيرا للحديث " ان الله تعالى يرى و يبصر جميع الأشياء حال عدمها و حال إيجادها . و إذا كان الجسد في المسجد و القلب في السوق أو كان الجسد في أحد الأماكن الشريفة ، مكة أة المدينة ، أو بيت المقدس ، و القلب في غيرها من المشرق أو المغرب فلا ينظر الله تعالى الى الجسد ، بمعنى أنه لا يبالي به حتى يتوجه اليه بالنظر الخاص و الرؤية الخاصة ليفيض عليه من خيراته و أنواع كرامته و تجلياته ..." حيث قال الأمير :

عليك بالنفس فاستمل فضائلها فأنت بالقلب لا بالجسم إنسان

فلا يقبل الله تعالى الأعمال الصالحة إلا تبعا للقلوب ، و لا يعاقب على ألعمال السيئة إلا مع القلوب ، و القربة لا تقون قربة إلا مع النية " إنما الأعمال بالنيات " بمعنى حضور القلب مستلزم لمشاهدة الرب "1"

فالتصوف على هذا طهارة باطنية أي طهارة القلب و النفس

"1" جواد مرابط : التصوف و الأمير عبد القادر الحسني الجزائري ص 7، 8

و الضـــمير ، و هـــو طهـــارة ظاهريـــة ن أي طهـــارة اليـــد و اللســـان و الجـــوارح ن ثـــم هـــو رحمـــة عاليـــة بكـــل ذي كبـــد حـــي ، و كـــل شـــيء فـــي الوجود تسري فيه الحياة .

شعـــــر الأميـــــر الصوفـــــي :

كانـــت فـــي الأميـــر نزعـــة صـــوفية أصـــلية ، تدفعـــه إلـــى الاتصـــال بالمتصـــوفة و مشـــايخ الطـــرق مـــن عهـــد الصـــغر و كـــان أبـــوه مـــن اتبـــاع الطريقـــة القادريـــة ، فـــاتبع التجـــاه الصـــوفي ، فكـــان تصـــوفه أقـــرب الـــى تصـــوف ابـــن حامـــد الغزالـــي و الجـــويني منـــه الـــى غيرهمـــا مـــن المتصـــوفة ، فالتصـــوف عنـــده نابع من الدين و يسعى الى رضى الله تعالى .

و الأميـــر فـــي شـــعره الصـــوفي متـــأثر بمحـــي الـــدين بـــن عربـــي و ابـــن الفـــارض "1" و النابلســـي و غيـــرهم و هـــو فـــي شـــعره هـــذا يعنـــي بتصـــور مـــا يحـــس بـــه و يســـجل الوارحـــات التـــي تـــرد علـــى خـــاطره . و مـــن الحـــق أن الميـــر فـــي شـــعره الصـــوفي يتجلـــى عـــن روح شـــعرية ، و يطفـــح بعواطـــف صـــادقة فـــي أســـلوب ســـهل متوســـط . و مـــن أشـــهر قصـــائده فـــي هـــذا الموضـــوع قصـــيدته الواعيـــة " أســـتاذي الصـــوفي " و فيهـــا مائـــة و أحـــد عشـــر بيتـــا صـــور فيهـــا بـــروح قصصـــية فتوحاتـــه الربانيـــة مـــع شـــيخه محمـــد الفاســـي الـــذي التقـــى بـــه في مكة و في مطلعها يقول :

أمسعود جاء السعد و الخير و اليســـــــر

و ولت جيوش النحس ليس لها ذكـــــر

هناك يقصد بـ"أمسعود " نفسه .

"1" أبـــو حفـــص شـــرف الـــدين عمـــر بـــن علـــي بـــن المرشـــد (1181-1235) ، المعـــروف بـــابن الفارض ، مصري المولد و يلقب بسلطان العاشقين .

"2" رابح بونار : الأمير عبد القادر حياته و آدابه ص 15- 16

ثم يتحدث عن ايام حيرته و انتظاره شيخه :

أتاني مربي العرفين بنفســــــــــه

و لا عجب فالشأن اضحى له أمــــــــر

و قال فاني منذ اعداد حجــــــــــة

لمنتظر لقياك أيها البــــــــــــــــدر . "1"

و أطــال فــي مدحــه و وصــف شــمائله و اســبغ عليــه خاصــية الهدايــة و ســمة الرحمة لجميع الخلائق .

حريص على هدى الخلائق جاهــــــــد

رحيم بهم بر ، خبير ، له القــــــــدر. "2"

و توجــد قصــائد كثيــرة فــي شــعر الأميــر الصــوفي ، حيــث بلغــت تســع قصــائد (09)

و فــي الأخيــر نصــل الــى أن الأميــر عبــد القــادر الجزائــري كــان رجــلا متصــوفا و شــاعرا ، و هــذا مــا اســتنتجناه فــي التجــربتين الغزليــة و الصــوفة ، و مــن خــلال مــا تطرقنــا لــه فــي الفصــلين الأول و الثــاني . فمــا مــدى تــداخل هــذه التجــارب فــي شــعره ؟ للأجابــة عــن هــذا الســؤال يجــدر بنــا التحليــل فــي الجانب التطبيقي .

"1" ديــوان الأميــر عبــد القــادر الجزائــري - جمــع و تحقيــق - شــرح و تقــديم : العربــي دحــو . قصــيدة أستاذي الصوفي ، ص 102

"2" المصدر نفسه ، ص 102

الفصل الثالث : الجانب التطبيقي .

تداخل معطيات التجربة الغزلية في التجربة الصوفية :

إن الأمير عبد القادر الجزائري أولا و قبل كل شيء , و قبل أن يكون متصوفا فهو رجل , إنسان .شاعر و فارس مغوار ' مفعم بمشاعر رقيقة و نبيلة . يكنها لأم البنين زوجته و ابنة عمه التي فرض عليه فراقها . و الإبتعاد عنها بفعل الأسر و المنفى , فاكتوى الرجل بلوعة الفراق و الإشتياق فكان حبه يزداد يوما بعد يوم , و كان يؤمن بأن الحب الحقيقي هو الذي لا يتبخر مع مرور الزمن , و لا يتعرض للفناء مهما واجهته الصعاب , فصار الليل مرتعا لاسترجاع ذكريات الحبيبة و الفوز بوصالها في خلوة الليل الطويل , الذي يبدي طيف أم البنين في أجمل صورة على الإطلاق .

إذن . فقد كان الأمير محبا للمرأة بصورة عامة وزوجته بصورة خاصة . إذ نجده كثيرا ما يتعجب من سطوة هذا الحب على قلبه و نفسه و إرتعاش شجاعته أمام هذا المخلوق الضعيف . و يرجع ذلك إلى روابط الأمومة و تعلقه الشديد بأمه . حيث كان شديد الإحترام لشخصيتها و كان لا يتهاون في خدمتها و رعايتها , و قد انتقل ذلك الحب بصورة تلقائية إلى حب زوجته التي يرى فيها صورة الجمال و الإبداع الإلهي و يتجلى كل هذا من خلال قوله :

جفاني من أم البنين خيـــــــــال

فقلبي جريح و الدموع سجـــــــــال

أحب الليالي كي أفوز بوصلهـــــا

و أرجو المنى بل قد أقول أنـــــــال

أكلف جفني النوم على أن أرى

مثالا لها يسري و ليس مثـــــال *1*

نلاحـظ مـن خـلال هـذه الأبيـات الثلاثـة تـداخل الغـزل مـع بعـض معطيـات الصوفية .

- الثنائية الأولى : (خيال) , (قلبي جريح , الدموع , سجال)

و يتضمن البيت الأول مايلي :

- جفاني : من المجافاة , تجافي , مجافاة الشيء , تباعد عنه إبتعاد .

و يقصـد الشـاعر ببيتـه هـذا ابتعـاد خيـال زوجتـه عنـه لـذلك فقلبـه ينـزف أسى و حزنا على بعدها و دموعه تنهار دمعة وراء دمعة .

- قلبـي جـريح و الـدموع سـجال : هـذه الثنائيـة تشـترك فـي السـيلان . فالقلـب جـريح ينـزف دمـا (معنويـا) مثـل الـدموع المنهـارة (تجسـيد مـادي)

- الثنائيـة الثانيـة : (أفـوز , أنـال) الفـوز : يفـوز فـوزا بـالخير . نالـه و تحصل عليه

النيـل : ينـال نـيلا . المطلـوب . أصـابه .أدركـه أي الشـاعر يفـوز بوصـل و طيف حبيبته (أم البنين)

أما الثنائية الثالثة : (مثالا لها , ليس مثال)

فهـو يتكلـف النـوم لكـي يراهـا (ليـرى مثالهـا) , أي يتخيلهـا فـي نومـه فهـو لا يرى مثالها في الواقع , لأنها بعيدة عنه .

---

1 ديوان الأمير عبد القادر , العربي دحو . قصيدة جودي بطيفي ص 60

و نستنتج من خلال هذه الأبيات أن غزل الأمير لم يكن ماديا ماجنا . بل كان روحيا ينتمي إلى التيار العذري في عفته و صفائه , و ذلك راجع بالدرجة الأولى إلى تشبعه بالمفاهيم الصوفية المعبرة عن مكنونات الروح و خلجانها بعيدة عن كل ماهو مادي حسي , و لا يفوتنا هنا الإشارة إلى أن الحب و الغزل الإلهيان عنصران أساسيان من عناصر الشعر الصوفي .

فالأمير كما رأينا في الأبيات يصف لنا محبته وولعه بالمرأة التي هي (أم البنين) , و محبة المرأة في المذهب الصوفي ووصال الحبيبة و رؤيتها , فاستولى بذلك ذكر المحبوب .

و منه فإن محبة المرأة مقترنة في المفاهيم الصوفية بحب الله , حتى إننا عند قراءتنا مثلا لأبيات شعرية صوفية في التغزل نجد أن محبة الله و الإسترسال معه يحدثنا عن المحبوبة , و هكذا دواليك , إذا فهناك اتساق شديد بين مفاهيم الغزل و الصوفية فيما يتعلق بموضوع المرأة بالذات .

و الأمير يبين لنا مدى وفائه لمحبوبته , حتى أنه صار يرى طيفها في الليالي و في رؤاه المنامية , و الليل في مفهوم الصوفية هو الاسترسال في العزلة و العبادة حتى لا يوسوس لهم الشيطان .

و الليل هو الخلوة التي ينبغي أن يكون العبد فيها مهتما بذكر الله و رضاه . أي كما أن الليل هو ملجأ للعبادة و التوسل إلى الله . فهو عند الأمير ملجأ إلى حالة الصفاء

و خلو ذهني خالص يجعله في لحظة تعانق بين روحه و بين طيف حبيبته التي طال فراقها , و اشتد حزنه الذي يعتري فؤاده . و قد عبر عن كل هذه المفاهم على طريقة المتصوف الزاهد , و لم ينسلخ بشاعريته و محبته للمرأة عن ثوب التصوف و الحياء , إذ نجده يتغزل في احتشام , كما أنه أشار إلى بعض المفاهيم الصوفية الأخرى كالدعاء و القضاء و القدر . حين قال :

أتضحك بالدعاء و تزدريـــــــــــــه

و ما يدريك ما فعل الدعـــــــــاء ؟

سهام الليل لا تخطي و لكـــــــــــن

لها أمد وللأمد انقضـــــــــــــاء

فالأمير عبد القادر وظف رموزا صوفية في شعره لتبيان مذهبه الصوفي الإسلامي من خلال هذه الأبيات التي ذكر فيها الدعاء , لأن له قيمة كبيرة و به تقضي الأمور . و الإنسان دوما إذا أراد أن يتقرب إليه بالدعاء لكي يفرج كربه , و يزيل همه . فالله وحده القادر على كل شيء . ووقت الدعاء المستجاب يكون دائما في الليل (في صلاة قيام الليل) و لقوله تعالى : " و إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان . فليستجيبوا لي و ليؤمنوا لعلهم يرشدون " *1* فالله تعالى يستجيب لعبده إذا دعاه تضرع له . خاصة وقت الليل

---

1 سورة البقرة , الأية رقم 186

بالإضافة إلى أن الدعاء عند الصوفيين هو مخ العبادة و هو مفتاح الحاجة , و أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال و دعاء الحال أن يكون صاحبه مضطرا , و قد كان الأمير في دعائه مضطرا و ذو حاجة يشكو لوعة الفراق فتعانقت مرة أخرة مصطلحات الغزل و المفاهيم الصوفية , في صورة رقيقة عفيفة , تدل على رقة شعور الأمير , أي أنه أخذها من وجهة نظر صوفية , و كذلك هو الحال بالنسبة إلى مسألة القضاء و القدر و لعل هذا ما يثبت عبقرية الأمير و قدرته على جعل الأشياء تبدو في أسمى صورها و معانيها .

كما نجد الأمير يمزج بين الصورتين (الصوفية , و الغزلية) . فيتألم من هجر المحبوبة .

و يعاني من غربة موحشة (فقلبه ينزف دما من لوعة الفراق و هجران و الدموع سجال)

و قد أصبحت الليالي عند الأمير مأنوسة محبة إليه , في سبيل الفوز بطيف المحبوبة فالبرغم من أن النوم رمز للراحة و الهدوء , إلا أنه عند الأمير ثقلا يتكلفه تكلفا لا رغبة و لا من أجل أن يرتاح , و لكنه من أجل أن يرى خيال حبيبته في منامه فيفرح قلبه الباكي , و من هنا كانت محبة الأمير لليالي السبيل الوحيد للقاء طيف الحبيبة . و كان غزله عذريا لا ماجنا , كما ذكرنا سابقا لتعلقه بأمه و إخلاصه النبيل لزوجته ابنة عمه كان يدعوها بأم البنين

المقاربة بين التجربتين (الغزلية + الصوفية) :

اتخذ الأمير الصوفية منهجا له , و قد وظف معطيات الصوفية في شعره المتمثلة في :

- جهاد النفس في سبيل الله

- طاعة الله عزو جل

- الحضور الدائم مع الله

- انتقاله إلى العذري , لكي يتغزل بزوجته و حبيبته قلبه " أم البنين " فالأمير عبد القادر الجزائري , قدمزج بين التجربتين الغزلية و الصوفية من خلال شعره . حيث نجد دلالة الليالي في التجربة الشعرية كما سبق الذكر تدل على طيف الحبيبة , خلافا عنها في الدلالة الصوفية . فهي ترمز إلى الدعاء و الذي حدد وقته في الليل و يقصد بها العبادة الخاصة و الحضور الدائم مع الله .

صور المرأة عند المتصوفة :

يرى نصر حامد أبو زيد " أن حب المرأة محطة هامة نحو الحب الإلهي , و يلع " ابن عربي " على فكرة أن الحب الإنساني هو الخبرة الأولى , التي لابد أن يتأسس عليها الحب الإلهي . و أنا حب النساء يعد من صفات الكمال الإنساني , مرتكزا في ذلك على مرويات تنتسب للنبي صلى الله عليه و سلم . حين قال : " حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب و النساء و قر عيني في الصلاة " *1* و يذهب الباحث " هشام علوي " في الإتجاه

---

1 أنظر نصر حامد أبو زيد , دوائر الخوف , قراءة في خطاب المرأة , المركز الثقافي العربي ،ط3،2004 ، ص 32

نفسه . حين يعتبر أن المرأة عند المتصوفة معبر للتسامي و التواصل مع جسد المرأة عبر النكاح اختبار للوصول إلى تجربة الفناء في الذات الإلهية , فتغدو المرأة موضوعا استعماليا يطلبه السالك من أجل العبور إلى موضوع القيمة الحقيقية : (الله) ووصله بها (النكاح) , هو ذروة عشقه لها الذي يعادل رمزيا , حنينه الأبدي للتوحد بالجسد السرمدي و الفناء في حضرة الإلوهية *1*

فالمرأة هي النموذج الأعلى للجمال الأرضي , و تأمل جمال المرأة هو الجمال الخالد و هو معبر إلى معرفة الله .

و تمثل المرأة في الفكر الصوفي مفتاحا من مفاتيح المعرفة و يقول الشيخ ابن عربي : " كل ما هو غير مؤنث لا يعول عليه " و كانت نظرة الأمير للمرأة و كيفية التعامل معها تدل على أنه كان يتعبد ربه بتعامله الراقي , و قد تأثر الأمير بابن عربي

بالإضافة إلى أن الأمير كان يقف في حبه موقف المذنب للمتهم الذي حكمت عليه حبيبته بعقوبة البعد و الفراق , و قد طالت مدة هذه العقوبة حتى خشي , الأمير من نسيانها له . فتعدى كل ذلك إلى الرضى بحياة الذل , فكلما ازدادت ذلا ازدادت هي

---

1 هشام علوي : الجسد بين الشرق و الغرب , نماذج و تطورات , منشورات الجيب , مطبعة النجاح 2004الجيب , مطبعة النجاح 2004 ص 31

(حبيبته) تيها وعزا و هجرانا , فليس له سوى الإستغاثة , فينادى نداء الحنين و الرحمة

جفاني من أم البنين خيـــــــــال

فقلبي جريح و الدموع سجـــــــال

أحب الليالي كي أفوز بوصلهـــا

و أرجو المنى بل قد أقول أنـــــال

أكلف جفني النوم علـى أن أرى

مثالا لها يسري و ليس مثـــــــال

و مـن خـلال هـذه الأبيـات التـي سـبق ذكرهـا , يتبـين لنـا أن الأميـر يصـف لوعـة الجفـا , التـي نالـت مـن زوجتـه أم البنـين , و هـو بعيـد عنهـا , فهـو هنـا بصـدد الغـزل و هـو غـرض قـديم يعنـي بـالمرأة كمـا ذكرنـا فـي الفصـل الأول (التجربـة الغزليـة) , فالبيـت الأول فيـه غـزل كمـا فيـه ألـم و حسـرة و هكـذا تقـرأ فـي البيـت الثـاني مـن القصـيدة فالشـاعر بـات يحـب الليـل كـي تكـون معـه و يـدعو الله كـي يحقـق أمالـه , كـذلك المتصـوفة الليـل عنـدهم طريـق إلـى الزهـد و التصـوف فهـم يعتبرونـه وقتـا للتقـرب مـن الله و الشـكوى لـه , كمـا فعـل الشـاعر , و هـو رمـز للإعتكـاف و الزهـد و الـدعاء . فالصـوفي يقـدس الليل حيث أنه يرى نفسه قريب إلى الله سبحانه و تعالى .

و فـي البيـت الثالـث يتعـرض أيضـا إلـى الغـزل فهـو يتكلـف الليـل حتـى طيـف الحبيبـة و خيالهـا و مـن خـلال هـذا التحليـل نسـتخلص صـورتين : صـورة الليل , و صورة المرأة

1- صورة الليـــــــل :

يعتبـر الليـل وقـت اجتمـاع الـنفس البشـرية و بالنسـبة إلـى الشـاعر هـو الوقـت الذي ينتظره بلهفة و شغف للقاء

حبيبتــه , فهــو يعبــر عــن مكنوناتــه و مــا يخــتلج فــي صــدره مــن مشــاعر جياشــة , أمــا عنــد الصــوفية فالليــل مــرتبط بــالرؤى المناميــة أو قيــام الليــل لتقــرب أكثــر إلــى الله عــز و جــل و الفــوز بــالمغفرة , فــالأمير اســتعان بالليــل , و هــذا دليــل علــى تمســكه بالعقيــدة الإســلامية مــن خــلال توظيفــه الــدعاء و الليــل , فهــو لا يــزال يعــيش علــى أمــل واحــد , و هــو أمــل اللقــاء و الفــوز برؤيــة الحبيبــة و طيفهــا , لــذا يتكلــف النــوم مــن أجــل رؤيــة خيالهــا فــي منامــه , و هــو يطلــب مــن الأخــرين أن يشــرحوا لهــا حبــه كــي تــرأف بحالــه و تشــفق عليــه فيجــود عليهــا بطيفــه , فشــاعرنا يحــب الليــل لأنــه الســبيل و الطريــق الوحيــد للقــاء طيــف الحبيبة , و هذا يتجلى من خلال قوله :

فقولوا لها إن كنت ترضين عيشـــــي

فجودي بطيف إن يغزو وصـــــــــال

فينعم قلبي و الجوارح كلهـــــــــا

و إلا فعيشي محنة ووبـــــــــــــال *1*

فــالأمير وظــف الليــل و مــا يحملــه مــن معــاني الهــدوء و الســكينة و الإطمئنــان و الإنشــراح , كمــا أنــه وقــت للعشــق بنوعيــه العشــق الأنثــوي (المــرأة) و العشــق الإلهــي (الله) فالليــل بقــدر مــاهو لقــاء الأحبــة هــو لقــاء المتعبــد فكلاهمــا ينظر إلى الليل نظرة تقديس .

كمـــا أن الليـــل عنـــد المتصـــوفة هـــو المـــلاذ بالنســـبة لهـــم

---

1 ديوان الأمير عبد القادر : العربي دحو ص 60

عن كل الأسباب اللهو و المجون الدنيوي , فالمتصوفة ترى النفس الإنسانية مجتمعة في الليل , فهو يعني الهدوء و السكينة كما ذكرنا سابقا , فلعل الليل سبب لقول الصوفية الشعر , و الذي هو فن وجداني خالص , فالصوفي نفسه مملوءة بالحب الإلهي , فلا يجد الحب متنفسا إلا من خلال المناجاة الشعرية ليلا .

لذلك نجد نوعا من الشعر أقرب غلى الغزل يعرف : بالغزل الصوفي و هو نوعان عذري و صريح

فالحب الإلهي فرع من فروع الغزل و النسيب , إذ لا يختلف عن الغزل المادي في المعاني و الألفاظ

إذن نستنتج أن الأمير يحقق صورة الليل من خلال صورة حسية في عتمة الليل , لأن طيف أم البنين بأني من خلال سكون الليل , كما هو الحال عند الصوفية , فخير أوقات لقاء الله هو الليل لما فيه من سكون و رهبة و خشوع . و أكثر ما يروع شاعرنا هو " الصباح " في ضوئه و نوره لأنه يحمل معنى الفراق بين الأمير و حبيبته , و هذا يتجلى من خلال قوله :

يروعني الصبح إن لاحت طلائعه

يا ليته لم يكن ضوء و اصباح

ليلي بدا مشرقا ومن حسن طلعتهم

و كل ذا الدهر أنور و أفراح *1*

فهذا الليل بدا مشرقا من حسن طلعة الحبيبة و لذا فإن أيام الأمير كلها أنوار و أفراح .

---

*1 * فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص 234

فـــالأمير عبـــد القـــادر الجزائـــري كـــان يخـــاف الصـــباح و نـــوره , لأنـــه يفـــارق حبيبته الغالية " أم البنين " و كان يحب الليل من أجل الفوز بطيفها.

2- صورة المرأة :

قـــدس الأميـــر عبـــد القـــادر الجزائـــري المـــرأة و أعطاهـــا مكانـــة عاليـــة و هـــذه الســـمة مســـتمدة مـــن روح القـــرآن الكـــريم , لأن المـــرأة عمومـــا قبـــل الإســـلام كانـــت مهانـــة مهـــدورة الحقـــوق فـــي جميـــع أنحـــاء العـــالم دون اســـتثناء , و يجمـــع المؤرخـــون علـــى أن المـــرأة قبـــل الإســـلام كانـــت مهضـــومة الحقـــوق , عديمة المكانة في المجتمع الذي كانت تعيش فيه *1*

خاصـــة فـــي الحيـــاة الجاهليـــة كانـــت وضـــعية المرأةتتميـــز بحيـــاة المهانـــة و عـــدم الإحتـــرام , و كانـــت حياتهـــا داخـــل الأســـرة , أو علـــى الأصـــح مـــع والـــدها بغلـــب عليهـــا قولـــه تعـــالى : " و إذا بشـــر أحـــدكم بـــالأنثى ظـــل وجهـــه مســـودا و هو كظيم , ليوارى من القوم من سوء ما بشر به ...." *2*

فقـــد احتقـــر الجـــاهلي المـــرأة واعتبرهـــا دونـــه فـــي القيمـــة الإنســـانية , و تـــوارث هاته الممارسات توارثا اتكاليا *3* في الأسر جميعا .

---

1 أنظر , مولاي ملياني بغداوي , حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية , قصر الكتاب , البليدة , الجزائر 1997 ص 49, 50

2 سورة النحل , الأية 58-59

3 أنظر عصمة الدين كركر , المرأة في العهد النبوي , دار الغرب الإسلامية ط 1 , بيروت , لبنان 1993 ص 23 و

و بعدها جاء الإسلام و بعض الناس ينكرون إنسانية المرأة و آخرون يرتبون فيها , و غبرهم يعترف بإنسانيتها , و لكنها و تبقى مخلوقا خلق لخدمة الرجل .

فكان فصل الإسلام أنه كرم المرأة و أكد إنسانيتها و اعتبرها انسانا كريما به كل ما للرجل من حقوق إنسانية .

فالمرأة نصف المجتمع و هي إنسان , أنثى , أخت , بنت أم *1*

فالأمير عبد القادر قدر المرأة و ميزها و أعطاها مكانة كبيرة و رفيعة , و هذا هو سر خضوعه للمرأة كان من وراء إعجانه الشديد بأمه و حبه إياها و شدة تعلقه بها . و حب زوجته الصافي , فكان يجاهد نفسه من أجل الفوز بوصالها .

وصال الحبيبـــــة :

لقد وصل الأمير في مجاهداته إلى المرحلة التحقيق و المشاهدة التي تؤمن له بالإيمان الذوقي الحقيقي , فعرف وصال الحبيب الأول . هذا الوصال الذي اعتبره الأمير عيدا و أفراحا , و هذا اللقاء هو بالنسبة لشاعرنا بمنزلة الروح و الروح و الراح : من خلال قوله :

أوقات وصلكم عيد و أفـــــــــراح

يا من هم الروح لي و الروح والـــراح

---

1 أنظر . يوسف القرضاوي . مركز المرأة في الحياة الإسلامية مؤسسة الرسالة طبعة 1 . بيروت لبنان .1422 2001 ص 65

يا من اذا اكتحلت عيني بطلعتهـــم

و حققت في محيا الحسن ترتـــــــاح *1*

- رؤية الحبيبـــــة :

و مـــاذا يحقـــق الوصـــال لشـــاعرنا ؟ إنـــه يحقـــق لـــذة النظـــر , فلـــم ينظـــر الأميـــر إلـــى شـــيء فـــي هـــذا الوجـــود إلا و قـــد لاح منـــه أحبـــاب قلبـــه , فصـــورة محبوبتـــه مبثوثـــة فـــي كـــل الكائنـــات , و لقـــد نظـــر شـــاعرنا إلـــى حســـن الـــذي لا شيء يشبهه :

فما نظرت إلى شيء بدا أبـــــــــدا

إلا و أحباب قلبي دونه لاحـــــــوا *2*

بالإضـــافة إلـــى أن شـــاعرنا قـــد جمـــع بـــين الليـــل و المـــرأة لأنـــه كـــان يحـــب طـــول الليـــل مـــن أجـــل رؤيـــة أم البنـــين و مـــن خـــلال مـــا ســـبق ذكـــره و تحليلـــه يتجلـــى بـــأن التـــزاوج الروحـــي البـــالغ بـــين نفـــس الأميـــر و المتصـــوف , فكـــان وجهـــين لعملـــة واحـــدة كـــل واحـــدة منهمـــا هـــي ســـبب و نتيجـــة لوجـــود الأخـــرى , فـــالأمير كـــان رجـــل علـــم و ثقافـــة , كمـــا كـــان رجـــلا متـــدينا , ممـــا جعلـــه صـــوفيا , فكـــان شـــعره الغزلـــي مترفعـــا عـــن الحيـــاة و شـــهواتها , فصـــبغها بصـــبغة دينيـــة , تـــنم عـــن إيمانـــه العميـــق , و كـــل هـــذا ســـاعده علـــى تعبيـــر مـــا بـــدور فـــي خاطره بطريقة عبقرية عفيفة لتنبثق

---

1 فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا . ص 233

2 المرجع نفسه ص 234

لنا صورة واقعية روحية

ومن خلال تحليل أبيات قصيدة " جودي بطيفي " للأمير عبد القادر , نستخلص أن الإنسان البعيد عن الصوفية و معانيها . يرى بأن هذه الأبيات , أبيات غزل يتغزل فيها الأمير بزوجته و ابنة عمه و أم أولاده و يشكو لوعة الفراق و البعد الذي حال بينه و بين وصالها فقط لكنه , و تمكن قليلا , و كان له نصيب من المعرفة في معاني الصوفية و رموز لأدرك و لا شك بأن معنى الأبيات فيها معنى ديني يسعى الأمير من خلاله مناجاة الله و التقرب منه .

و في الأخير نخلص إلى وجود تداخل بين التجربة الغزلية و التجربة الصوفية , من خلال موقف الأمير عبد القادر من الحبيبة , صورة الحب الصافي بين الرجل و المرأة بعيدا عن مطالع اللذات و الشهوات و بكل المشاعر و الأحاسيس الصادقة المثالية النابعة من قلب صافي , محب مفعم بكل ألوان العشق المثالي خاصة حين يصف المرأة التي وقع قلبه عليها فإنه يرى صورتها أمام عينه , فهي لا تفارقه أبدا بهذا الطرح يتداخل و يتشابه في رؤية الصوفية مع الحب الصافي و هو الحب الصافي و هو الحب الإلهي الخالي من أي شوائب و إلزامات , فالمتصوفة أشبه بالعشق فهو لا ينام و هو يتعبد للتقرب إلى الله و يكون ليله طويلا لكنه مريح , يجد فيه عزاءه مثل العاشق , فإن في ليله مناجاة لمواساة قلبه الهائم في بحر الهوى و العشق للتمتع بطيف الحبيبة .

ملحـــــــــق :

حياة الأمير عبد القادر الجزائري و أثاره .

(23 رجب 1222 -14 محرم 1246 ه /أيار 1807 -5 تموز 1830 م)

- أصل الأمير و أسرته :

تنتمي أسرة الأمير عبد القادر إلى أصل مراكشي , و كان لأسلافهم الأدارسة ملك عظيم فيبلاد المغرب الأقصى *1* فطالما خفقت أعلامها و بنودها فوق جبال الأطلس الشامخة .و أول من نزح من أسلافهم عن مراكش عبد القوي , الذي نزل بقلعة بني حماد قرب (سطيف) من أعمال قسنطينة و ذلك عند اشتداد الفتن في المغرب الأقصى .

و في عهد السيد مصطفى بن محمد بن مختار الجد الأكبر لعبد القادر , نصبت الأسرة أعلامها في إيالة *وهران * و بسطت نفوذها على القبائل النازلة في تلك النواحي , و لا سيما في عهد السيد محي الدين *2* والد الأمير عبد القادر .

و قد لعبت الأسرة دورا سياسيا بارزا من عهد الأتراك , فدافعت عن استقلال القبائل النازلة في المناطقالداخلية ضد السيطرة الحكومة الرسمية .

---

1 الأمير محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري : تحفة الزائر في تاريخ الطبعة الجزائر و الأمير عبد القادر , شرح و تعليق الدكتور ممدوح حقي . الطبعة الثانية . منشورات دار اليقظة العربية . بيروت 1964م - ص 925

2 محي الدين بن مصطفى الجزائري الحسني (1190 - 1249ه/1776- 1833) نشأ في حجر والده , و تفقه عليه , و رحل إلى مستغانم و أخذ من علمائها و ألف في التصوف "إرشاد المريدين "

وكـــان والـــد الأميـــر عبـــد القـــادر , مـــن حمـــاة الشـــريعة , و مـــن كبـــار أوليائهـــا المختـــارين , و كـــان يلقـــب (بالشـــريف) لإنتســـابه إلـــى ســـلالة الرســـول عليـــه الصلاة و السلام .

فهـــو شـــيخ الطريقـــة القادريـــة , و الفقيـــه المـــرابط , الـــذي كانـــت قبيلتـــه بنـــي هاشـــم , تنظـــر إليـــه نظرتهـــا كـــولي مـــن أوليـــاء الله لـــذا كانـــت القبائـــل تهـــرع مـــن ســـواحل البحـــر حتـــى تخـــوم الصـــحراء ســـاعية إلـــى خيامـــه , و مضـــاربة للتبرك بولي الله الهاشمي "1"

و اتخـــذ محـــي الـــدين زاويـــة "2" لطلـــب العلـــم و القـــرانّ كـــان كأســـلافه مـــن العلمـــاء الـــذين يرجـــع إلـــيهم فـــي مشـــكلات الأحكـــام ممـــا جعـــل لـــه مكانـــة ســـامية لعلمه , و صلاحه , و كرمه , و شرف نسبه و حسبه .

و تـــزوج محـــي الـــدين مـــن أربـــع نســـوة و رزق مـــنهن ســـتة أولاد و قـــد رزق نجلـــه الثـــاني الأميـــر عبـــد القـــادر , مـــن زوجتـــه الثالثـــة , و هـــي الســـيدة زهـــراء ابنة السيد محمد بن دوحة الحسنية .

---

1 فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا , المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية , الجزائر 1985.ص 28.

2 الزاوية : و هي في الإصطلاح رجال الصوفية المسلمين , محل تثقيف العقول دينيا و أدبيا , و تسمى عادة باسم أحد المرابطين أو أساتذة الزوايا , هم المرابطون أنفسهم , حيث يتعلم الطلبة الكتابة , القراءة , التجويد , الصرف و النحو , و الفرائض , الحديث , التفسير و الحساب .

الأمير عبد القادر : اسمه, و نسبه , و كنيته , و ألقابه :

و أما اسمه و نسبه الحسني الموصول بالنبي محمد صلى الله عليه و سلم فهو : الأمير عبد القادر بن محي الدين , بن مصطفى بن محمد بن مختار بن عبد القادر بن , بن أحمد المختار , بن أحمد المشهور "بابن خدة " و هي مرضعته ابن محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي ابن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود , بن طاووس , ابن يعقوب , بن عبد القوي , بن أحمد , بن محمد , بن ادريس , الأصغر , ابن ادريس الأكبر , بن عبد الله المحض , بن الحسن المثنى , بن الحسن السبط , ابن علي بن أبي طالب , و أم الحسن , فاطمة الزهراء بنت محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم "1"

و أولاد السيد محي الدين بن مصطفى الجزائري الحسني من زوجاته الأربع : محمد السعيد "2" مصطفى "3" الحسين "4" عبد القادر "5" المرتضي "6"

---

*1 فؤاد صالح السيد , الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص29

*2 محمد السعيد الإبن الأول للسيد محي الدين , أمه , السيدة عريضة ابنة سيدي الميلود , و هي الزوجة الأولى

*3مصطفى : الإبن الثالث لمحي الدين , أمه السيدة عريضة

*4 الحسين : الإبن الرابع لمحي الدين , أمه السيدة فاطمة ابنة سيدي "داهو" و هي الزوجة الثانية لمحي الدين

*5عبد القادر , الإبن الثاني لمحي الدين , أمه السيدة زهرة و هي الزوجة الثالثة
لمحي الدين

*6 المرتضي : الإبن الخامس لمحي الدين , أمه السيدة خيرة زوجة محي الدين الرابعة

أمـــا كنيـــة الأميـــر عبـــد القـــادر فهـــي : أبـــو محمـــد و أمـــا ألقابـــه : فمتعـــددة و قـــد أطلقـــت عليـــه فـــي مناســـبات شـــتى , بعضـــها لازمـــة طيلـــة حياتـــه , و بعضـــها الأخـــر انتهـــى بانتهـــاء الفتـــرة الزمنيـــة التـــي يرمـــز إليهـــا هـــذا اللقـــب أو ذلـــك .فمـــن ألقابـــه : أميـــر المـــؤمنين , ناصـــر الـــدين "1" الأميـــر "2" و الجزائري "3" ابن الراشدي و ابن خلاد .

- مولده و نشأته الأولى في " القيطنة " :

ولـــد الأميـــر عبـــد القـــادر الجزائـــري يـــوم الجمعـــة , فـــي الثالـــث و العشـــرين مـــن رجـــب , ســـنة اثنتـــين و عشـــرين و مـــائتين و الـــف للهجـــرة – 1222 هـــ , الموافـــق لشـــهر إيـــار ســـنة ســـبعة و ثمانئـــة و ألـــف للمـــيلاد (1807 م), و قـــد اجمـــع علـــى ذلـــك معظـــم الـــذين ارخـــوا قـــديما و حـــديثا لحياتـــه ، كـــالأمير محمـــد ولده , وتشرشل (churchill) و الحفناوي"4" و غيرهم .

---

1 و هذا اللقب اسبغه عليه والده عند مبايعته البيعة الأولى الخاصة .
2 و هو اللقب الأكثر شهرة , عرف به , و بقي يلازمه طيلة حياته .
3 نسبة إلى وطنه الجزائر , و كان يحب هذا اللقب خصوصا بعد نفيه عن بلاده
4 الحفناوي , تعريف الخلف برجال السلف , تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني ج1, 1991.ص18

أمـــا مكـــان ولادتـــه ففـــي قريـــة القيطنـــة التـــي اختطفهـــا جـــده الســـيد مصـــطفى *1* علـــى الضـــفة اليســـرة لـــوادي الحمـــام , فـــي منطقـــة افـــريس , غربـــي مدينة معسكر , من أيالة وهران في فلاد الجزائر .

تربـــى الأميـــر عبـــد القـــادر الجزائـــري فـــي حجـــر والـــده , الـــذي مـــال غليـــه مـــيلا خاصـــا فتعهـــد أمـــر تربيتـــه بنفســـه , و أحاطـــه برأفتـــه و حنـــوه , فكـــان بـــذلك موضع اهتمام خاص , و عطف مميز .

و فـــي الرابعـــة مـــن عمـــره , التحـــق عبـــد القـــادر بمدرســـة والـــده فـــي القيطنـــة عام 1227 هـ /1812 م

و بـــدأت ملكـــات الولـــد العقليـــة تظهـــر لتـــدل علـــى نبـــوغ و ذكـــاء الأميـــر , فقـــد كان يقرأ وم يكتب عندما كان في الخامسة من عمره *2*

و قـــد بـــذل محـــي الـــدين قصـــارى جهـــده فـــي تثقيـــف ولـــده , لمـــا أنـــس فيـــه مـــن أمـــارات التفـــوق و الـــذكاء . فـــتمكن الفتـــى فـــي مـــدة وجيـــزة مـــن اكتســـاب جانـــب عظـــيم مـــن العلـــم , و حفـــظ القـــران حفظـــا جيـــدا و كـــان – علـــى حداثـــة ســـنه – يدرك مدارك الرجال برؤية نادرة المثال .

---

1 مصطفى بن محمد بن مختار : جد الأمير عبد القادر , سافر إلى الحج مرتين , وزار المسجد الأقصى و دمشق و بغداد و لما عاد إلى وطنه في الرحلة الأولى ، اختط قرينه المعروفة (القيطنة) بواد الحمام سنة 1206 هـ , 1791 م توفي سنة 1212 هـ – 1798 م

2 فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري منصوفا و شاعرا ص34

و أصبح الفتى طالبا في عداد طلبة الفقه , لما كان في الثانية عشر من عمره , إذ كان دؤوبا على حفظ القران , و درس الحديث , و اصول الشريعة , و كان يتلقى مبادىء الفقه و أصوله عن والده عمدة المحققين , و عن غيره من علماء بلده .

و بعد سنتين عندما أصبح في الرابعة عشر من عمره , حصل على تسمية * حافظ * و يعني ذلك انه أصبح يستطيع ترتيل القران عن ظهر قلب في الجوامع و الإحتفالات"1" و في عام 1236ه/ 1821 م عندما بلغ أربع عشر سنة , ارسله والده إلى مدرسة * وهران * التي كانت بإشراف * أحمد بن خوجة * , فبقي فيها سنتين يتعلم العلوم العربية و الدينية , فجد في تحصيلها و درس الفقه و الحديث , و أصول الشريعة "2"

و بعد هذه الرحلة العلمية إلى * وهران * التي استمرت ما يقرب من السنتين (1237-1239ه /1821 – 1823 م) عاد إلى بلدته (القيطنة)

و قد تزوج الأمير عبد القادر و هو شاب في أول عمره على الطريقة الإسلامية , و طبقا لنصوص القران الكريم , ففي سن الخامسة عشر (15) تزوج ابنة عمه لالا خيرة "3" و قد اتصفت برزانة أخلاقها العالية , و جمالها البارع .

---

1 فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري , متصوفا و شاعرا .ص.34 .

2 المرجع نفسه , ص 35

3 المرجع نفسه , ص 36

و بعد عودته إلى (القيطنة) بدأ يلقي دروسا في جامع الأسرة , حيث كان يعقب و يفسر أصعب الآيات و الشواهم و أعمقها , و لقد كان طموحه الكبر في شبابه هو أن يصبح مرابطا , مثل والده و لقد اشتهر بشدة البأس و قوة البدن و الفروسية و هو في السابعة عشر من عمره , كان يشار إليه باليان بين الفرسان لمهالاته في ركوب الخيل و اللعب على ظهورها .

و كان كساؤه بسيطا و صريحا , بيد انه كان شغوفا بتزيين سلاحه , فقد كانت بندقيته التونسية الطويلة , مرصعة بالفضة , أما مسدسه فكان مرصعا بالجواهر و كان سيفه الدمشقي غمد من فضة .

و مارس الأمير عبد القادر الجزائري رياضة الصيد , برغبة شديدة و كان يطارد الخنزير البري و يصطاده , و لم يشغله ذلك عن القيام بواجباته الدينية , و استطاع في هذه الفترة أن ينظم الشعر و هو دون العشرين و لم يسبق له أن تعلم موازين الشعر و مقاييسه , فجمع بذلك بين السيف و القلم "1"

أما شخصيتـــــه :

لقد كلنت شخصية الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري و إمارته لأمته جديدة بأن تستقطب اهتمام وجهود الباحثين و الدارسين في شتى المجالات الوطنية , العسكرية , السياسية , الدبلوماسية , الأدبية و الصوفية "2" لما حضيت به شخصيته من بنوغ ة تفرد في هذه الميادين .

---

1 المرجع السابق ص 36- 37

2 عوني أحمد : الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية , أشغال الملتقى الثقافي الوطني , مطبعة دحلب , مارس 1996 , ص 13

يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله : " إن الأمير قد سطر بسيفه الحوادث الوطنية و المعارك العسكرية و سطر بقلمه الصفحات الفكرية و الوقائع التاريخية " "1" و لقد قضى الأمير عبد القادر في دمشق سبعة و عشرين عاما (27) (1272 -1300 هـ / 1856 – 1883 م) في القراءة , و حلقات العلم و اتاليف و التأمل الصوفي و الرحلات .

-فقد كان الأمير عبد القادر مركز اهتمام العلماء و المثقفين أكثر من غيرهم , فهو قبلة العلماء و الفقهاء و محجتهم إليه , يرجعون في كثير من الأمور الدينية و على أرائه يستندون و \لك ناتج عن أسباب ثلاثة :

أولا : لأنه شريف من سلالة النبي صلى الله عليه و سلم , فهو حسني الأصل .

ثانيا : لأنه عالم من العلماء

ثالثا : لأنه مجاهد , جاهد في سبيل الله سبع عشرة سنة فطلب علماء دمشق و فقهاؤها من الأمير أن يكون أستا\هم *2* إذ كانوا يشعرون أنهم مرتبطون به بمشاعر العاطفة القومية من جهة , و بالواجب الديني من جهة أخرى .

بالإضافة إلى أنه كان من محبي البادية , له قصيدة " ما في البداوة من عيب " و كان متصوفا . حيث كان تصوفه أقرب إلى تصوف " أبي حامد الغزالي " و " و الجويني " منه إلى غيرهما من المتصوفة , أما هدقته فهي صادرة من قلب مخلص وفي , يقوم بما عليه من واجبات نحو أصدقائه من معاملة أخوية .

---

1 المرجع السابق .ص 13

2 فؤاد صالح السيد : الأمير عبد القادر الجزائري متصوفا و شاعرا ص 67

مرضـــه ووفاتـــه : (19 رجـــب 1300 ه – 24 أيـــار 1883 م)كـــان الأميـــر خـــلال مرضـــه الخيـــر " مشـــتغلا بالمراقبـــة و الـــذكر " حتـــى أنـــه مـــع كثـــرة مـــا يقايســـه مـــن الألام , و يعانيـــه مـــن الأوجـــاع " لـــم يظهـــر ضـــجرا , و لا تأوهـــا قـــط , و لا تـــرك الصـــلاة فـــي وقـــت مـــن الأوقـــات , و فـــي أخـــر مرضـــه كـــان قليـــل الكـــلام إلا فـــي مـــا يخـــص مرضـــه " فقـــد أصـــيب بمـــرض الكلـــى و المثانـــة و اســـتمر تـــردد الأطبـــاء عليـــه خمســـة و عشـــرين يومـــا إلـــى أن تـــوفي فـــي الســـاعة الســـابعة مـــن ليلـــة الســـبت 1883 ح و ذ لـــك فـــي قصـــره , و فـــي دمـــر بضاحية دمشق عن (76 عام) ستة و سبعين عاما "1"

و نقـــل صـــباح اليـــوم التـــالي فـــي عربتـــه مـــن قصـــره إلـــى داره فـــي دمشـــق , حيـــث تـــولى غســـله و تكفينـــه الشـــيخ عبـــد الرحمـــان علـــيش . أحـــد علمـــاء الأزهر . ثم حمل نعشه على أكتاف الرجال إلى الجامع الأموي الكبير .

و قـــد رثـــاه كثيـــر مـــن العلمـــاء , و الشـــعراء الأدبـــاء , فعـــددوا مـــأثره الكريمـــة , و فضائله الإنسانية النبيلة بكثير من الأسى و اللوعة .

و قـــد تـــوفي (رحمـــه الله) عـــن زوجتـــه ابنـــة عمـــه " أم البنـــين " "2"و ســـت بنات و عشرة ذكور "3"

---

*1*المرجع السابق ص 80

2 أم البنين : و هو اللقب الذي اسبغه الأمير على زوجته في قصائده الغزلية . راجع الديوان تحقيق العربي دحو .ص 60.57

*3*و هم : محمد , محي الدين , هاشم , ابراهيم , واحد , عبد الله , علي , عمر , عبد المالك , عبد الرازق

أثـــــــاره : و تنقسم إلى قسمين :

أولا : أثار شعرية :

1-الـديوان : و هـو أكبـر أثـاره الشـعرية , و هـذا الـديوان لـم يـنظم فـي فتـرة زمنيـة معينـة , و لا فـي بقعـة جغرافيـة معينـة , بـل نظـم علـى فتـرات متقطعـة , فقـد رافـق حيـاة الأميـر منـذ شـبابه فـي أرض الجزائـر إلـى وفاتـه في دمشق

2-القصـائد الشـعرية الـواردة فـي مقدمـة كتابـه الصـوفي الشـهير"المواقـف " و قد وردت بعض هذه القصائد و هو القسم الأول في الديوان .

و منـه فـإن فرنسـا هـي التـي كانـت السـباقة فـي محاولتهـا الأولـى لجمـع الشـعر الـذي كـان يقولـه الأميـر , مـن خـلال ظهـور كتـاب بعنـوان " أشـعار الأميـر " و فـي هـذا الكتـاب بعـض أشـعار الأميـر عبـد القـادر , و القـوانين العسـكرية التـي كانـت سـارية المفعـول فـي جيشـه , عنـدما كـان قائمـا بـأمر الجهاد .

و فـي مطلـع السـتينيات مـن هـذا القـرن , بـدأت أولـى المحـاولات العلميـة الصـحيحة لتحقيـق الـديوان , و ضـبطه و شـرحه مـع الـدكتور ممـدوح حقـي , فظهـرت الطبعـة الأولـى عـن دار اليقظـة العربيـة فـي دمشـق . دون تحديـد الطبـع . و تـألف هـذا الـديوان مـن ثمـان و سـتين و مائـة صـفحة مـن القطـع الوسـط .ثـم ظهـر الـديوان فـي طبعتـه الثانيـة للمحقـق نفسـه عـن دار اليقظـة العربيـة فـي بيـروت عـام 1384ه/1964م فـي أربـع و عشـرون و مئتـي صـفحة مـن القطـع الوسـط و نشـره المحقـق بمناسـبة اسـتقلال الجزائـر العربية

و كانت الطبعة الثالثة و الأخيرة للمحقق نفسه الصادرة عن دار اليقظة العربية في بيروت عام 1385 هـ / 1965 م في ثمان و ثلاثين و مئتي صفحة من القطع الكبير . و قد نشرت لا طمعا بمال بل إكراما لرجولته و فحولته (الأمير) في مقارعة الإستعمار . و لإستعادة ذكراه , و تمجيد جهاده , و تخليد تضحياته "1" و لقد رتب المحقق الديوان , تبعا لفنونه , فإذا هي (5) خمسة : الفخر , الغزل , المساجلات , المناسبات و التصوف .

إذا فالديوان رتب ترتيبا موضوعيا , تبعا لموضوعاته و فنونه , لا ترتيبا تاريخيا , حسب تاريخ النظم القصائد أو ترتيبا ألفبائيا حسب حرف الروي "1"

ثانيا : الأثار النثرية : كثيرة و متنوعة نذكر منها :

1 دوشاح الكتائب و زينة الجيش المحمدي الغالب : و هي رسالة في فنون الحرب , نتضمن ملخص الأنظمة و القوانين العسكرية و أنواع المكفات و العقوبات التي سنها الأمير لجيشه , و تدل الرسالة على أن الأمير كان يعيد النظر , ثاقب الرأي في أمور الحرب و نظام الجيوش , مع حداثة عهده بالحرب *2* و قد ظهرت ترجمة "وشاح الكتائب " بالغة الفرنسية لأول مرة - على يد الترجمان "روسيتي :Rosetty "في شوال 1259ه - كانون الأول 1843.

---

1 فؤاد صالح السيد . الأمير عبد القادر الجزائري . متصوفا و شاعرا ص 88 - 89

2 المرجع نفسه . ص 93

2-المقـراض الحـاد لقطـع لسـان الطـاعن فـي ديـن الإسـلام مـن أهـل الباطـل و الإلحـاد : رسـالة مطولـة ردهـا علـى الطـاعنين فـي ديـن الإسـلام ممـن عمـوا عـن فضـائله , و تشـبثوا بمـا لـيس منـه فـي شـيء مـن بـدع المـارقين و أهـل النفـاق . و هـذا الكتـاب بمـا فيـه مـن حجـج دامغـة و أدلـة منطقيـة سـاطعة , يثبـت وجـود الخـالف العظـيم لهـذا الكـون الهائـل , و يبـرهن مـدى صـحة و صـدق الكتـب السـماوية . و قـد ألـف الأميـر خـلال إقامتـه أسـيرا فـي "أمبـواز Amboise " بفرنسـا إذ نعتبـر هـذه الرسـالة أولـى المؤلفـات النثريـة التـي ألفها الأمير خارج أرض الجزائر بعد نفيه عام 1264 ه / 1847 م .

و رتب الأمير رسالته على مقدمة , و ثلاثة أبواب "1"

أما المقدمة : ففي كلام على العقل و ما يتعلق به

و جعل البا ب الأول : في اثبات الألوهية

و الباب الثاني : في اثبات النبوة مع الرسالة

أمـا البـاب الثالـث : و هـو موضـوع الرسـالة , ففيـه بيـان , مـا ورد فـي الشـرع , مـن وجـوب الوفـاء , و الأمـر بـه , و تـرك الغـدر , و النهـي عنـه , و ما يتعلق بذلك كالصدق و الكذب .

---

1 المرجع السابق . ص96-95

2 ذكرى العاقل و تبنيه الغافل :

و هي رسالة مطولة أيضا . تتضمن مسائل جمة في مختلف العلوم كالتاريخ و الفلسفة و الدين و الإصلاح الإجتماعي , و الأخلاق , و هي رسالة في الحكمة و الشريعة فقد ألف الأمير رسالته خلال إقامته في " بروسة , "Brousse , هذه الإقامة التي امتدت ما يقرب من السنتين و نصف (1269 - 1272 ه) و هي الرسالة الثانية التي ألفها خارج الوطن بعد " المتراض الحاد " *1* و قسم هذه الرسالة إلى مقدمة و ثلاثة أبواب و خاتمة أما المقدمة , فحث فيها على النظر و ذم التقليد .و تحدث في الباب الأول , عن فضل العلم و العلماء و في الباب الثاني عن العلم الشرعي و في الباب الثالث عن فضل الكتابة و في الخاتمة ذكر انقسام الناس , بحسب العلوم و المعارف و اختلاف المذاهب .

---

1 المرجع السابق ص 97-98

و بالإضافة إلى أثار نثرية منها : المواقف في التصوف و الوعظ و الإرشاد . و رسائل متنوعة منها : رسائله السياسية التي تبادلها مع رؤساء حكومات فرنسا , رسائله إلى الأسقف د وبوش "Dupuch " و أجوبة الأمير عن العشرين سؤالا التي وجهها إليه الجنرال " دوماس Doumas" و رسائله إلى الزعيم اللبناني يوسف بك كرم . و منه فالأمير كان مجاهدا . رجل دولة , دبلوماسي , و لم يكن الأمير رجل حرب فقط بل كان أديبا و شاعرا و فيلسوفا ركز اهتمامه على دراسة الفلسفة اليونانية و العلوم الإنسانية , فمن مؤلفاته : ديوان الأمير عبد القادر , و ديوان شعري سماه "نزهة الخاطر " و عدة كتب منها " ذكرى العاقل و تنبيه الغافل " " المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل و الإلحاد " " المواقف " "1"

إستطاع الأمير أن يجمع بين الأصالة و التجديد في شعره , كما أن سعة إطلاعاته أتاحت له تجربة رائدة جعلته بقف في طليعة الشعراء و بهذا يكون قد استطاع أن يجمع بين الشجاعة في المعركة و التحلي بروح المسؤولية في الحرب و في السلم , و ذكاء خارق في المناورات العسكرية و تنظيم الجيش , و بين شخصية أدبية و علمية مرموقة في ذلك الوقت , فحاول الجمع بين السيف و القلم .

---

1 عوني أحمد : الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة .أشغال الملتقى الثقافي الوطني , ص 182-183

خاتمـــــــــة :

لقـد نجـح الأمـي عبـد القـادر الجزائـري فـي قيـادة المقاومـة الوطنيـة بوجههـا العسـكري و الفكـري ضـد الإسـتعمار , فكـان محـاورا للفكـر الإسـلامي و مجـددا لـه , و قـد مثـل الإسـتمرارية بوجهيهـا الـديني و الـوطني , فغـدا مـن رواد النهضـة العربيـة الإسـلامية , و نموذجـا فـذا فـي تـاريخ الفكـر الجزائـري الحـديث , و إذا بحثنـا فـي سـيرته و تراثـه , فهـو أحـد الشـعراء الجزائـريين المرمـوقين , و أحـد القـادة الثـوريين العظمـاء دافـع عـن الـوطن بالسـيف و القلـم , و كـان رجـلا متـدينا صـوفيا متبعـا بالثقافـة الدينيـة الإسـلامية , و الثقافـة الصـوفية , لكـن هـذا لـم يمنعـه مـن الـنظم فـي أغـراض أخـرى , و للوهلـة الأولـى أنهـا بعيـدة كـل البعـد عـن التصـوف , مثـل غـرض الغـزل , الـذي اكتشـفنا بعـد قراءتنـا لـه أنـه يتـداخل تـداخلا شـعريا فنيـا و فكريـا مـع التصـوف و هـذا مـا يظهـر مـن خـلال نظـرة الأميـر للمـرأة و الليـل و الطيف و غيرها من الصولر .

فصـورة الليـل عنـده هـي السـبيل الوحيـد للقـاء طيـف الحبيبـة لمـا يحملـه مـن معـاني الهـدوء و السـكينة فـي المقابـل نجـده عنـد الصـوفية مـرتبط بالعبـادة للتقرب من الله عزو جل .

و الفـوز بـالمغفرة , فـالأمير اسـتعان بالليـل , و هـذا دليـل علـى تمسـكه بالعقيـدة الإسـلامية , ضـف إلـى ذلـك صـورة المـرأة التـي تتجسـد فـي الحـب الصـافي , و صـورة الحبيبـة النابعـة مـن القلـب الـوفي بعيـدا عـن مطـارح اللذات و الشهوات و بكل المشاعر و الأحاسيس الصادقة المثالية .

و لقد أظهر الأمير في غزله صورا مثالية في نظرته إلى المرأة و ما يتعلق بها , فهذا الكائن لم يكن في نظره جسدا , بل كان روحا و هذا الطيف الذي كان يستزيره ليلا , كان طيفا لإمرأة طاهرة نقية , و بذكر الليل نقول إن نفسه الزكية كانت تسكن لتخالجها مشاعر تستطيع أن تناجي خالقها , فالليل ليس سبيلا لوصال الحبيبة شهوة , و إنما هو سبيل لوصال روحها الطاهرة فتحتضن الأنفس , هناك حيث لا ضوضاء و لا ضجر و لا ملل , فترقى إلى حوار صوفي روحاني .

هكذا كان الأمير في غزله,رجل صوفي,قريب من الله بعيد عن هوى النفس .

- القران الكريم

- قائمة المصادر و المراجع :

1- ابن رشيق , القيرواني , العمدة في محاسن الشعر و أدابه و نقده , حققه و فصله , و علق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد , الجزء الثاني الطبعة الثالثة , مصر 1383 - 1964

2- ابن منظور , لسان العرب , حققه خالد رسشيد القاضي دار البيضاء , لبنان , بيروت ج 10 .2006

3- ابراهيم هلال , التصوف الإسلامي بين الدين و الفلسفة دار النهضة العربية ط1.1395

4- الحفناوي , تعريف الخلف برجال السلف , تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني . الجزء الأول 1991

5-أحمد شرفي , الرفاعي , الشعر الوطني الجزائري , دار الهدى , عين مليلة , الجزائر 2010.

6- الأمير عبد القادر , تحفة الزائر في تاريخ الجزائر و الأمير عبد القادر , شرح و تعليق , الدكتور ممدوح حقي , الطبعة الثانية , منشورات دار اليقظة العربية بيروت .1964

7- الأمير عبد القادر , المواقف , المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية , وحدة الرغاية , الجزائر 1996

8- السهر وردي , عوارف المعارف , دار المعرفة , بيروت

9- الكلاباذي , التعرف لمذهب أهل التصوف , مكتبة الكليات الأزهرية , طبعة الأولى

- المنجد في اللغة العربية المعاصرة , دار الشرق , بيروت , طبعة الثانية , 2001

- بودواوية بلحيا , التصوف في بلاد المغرب العربي , دار القدس العربي , ط 1 سنة 2009

- جمال الدين أبي فرج عبد الرحمن , ابن الجوزي البغدادي تلبيس ابليس , الدراسة و التحقيق و التعليق , السيد الجميلي , دار الكتاب العربي , لبنان 1423- 2002 م

- جواد مرابط , التصوف و الأمير عبد القادر الحسني الجزائري , دار اليقظة العربية , سوريا 1966

- ديوان الأمير عبد القادر الجزائري (1807-1883) جمع و تحقيق , شرح و تقديم , العربي دحو الطبعة في إطار الجزائر عاصمة الثقافة العربية سنة 2007

- رابح بونار , الأمير حياته و أدبه , مجلة أمال الجزائرية 5 جويلية , 1970 عدد 08

- زكريا صيام , ديوان الأمير عبد القادر الجزائري , المؤسسة الجزائرية للطباعة رقم 88

- شارل هنري تشرشل , ترجمة و تقديم و تعليق , أبو القاسم سعد الله , حياة الأمير عبد القادر , ديوان المطبوعات الجامعية , الجزائر 2004

- صحيح المسلم

عشراتي سليمان , الأمير عبد القادر المفكر , دار الغرب للنشر و التوزيع , طبعة الثالثة سنة 2009

- عـوني أحمـد , الأميـر عبـد القـادر , مؤسـس الدولـة الحديثـة أشـغال الملتقـى الثقافي الوطني . مطبعة دحلب . مارس 1996

- عصـمة الـدين كركـر , المـرأة فـي العهـد النبـوي , دار الغـرب الإسـلامية , طبعة الأولى , بيروت , لبنان 1993

- فـؤاد صـالح السـيد , الأميـر عبـد القـادر الجزائـري متصـوفا و شـاعرا , المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1985

- محاضـرات عثمـان حشـلاف , المدرسـة العليـا للأسـاتذة فـي الأداب الإنسـانية , بوزريعـة , مـادة الأدب الجزائـري سـنة الثانيـة جـامعي للتكـوين عن بعد

- محمـد علـي الكنـدي , فـي لغـة القصـيدة الصـوفية , دار الكتـاب الجديـد المتحـدة .ط 1 , السـنن , تحقيـق و تعليـق محمـد فـؤاد عبـد البـاقي , دار الإحياء للكتب العربية الجزء 1 القاهرة 1952 - 1953

- مـولاي مليـاني بغـدادي , حقـوق المـرأة فـي الشـريعة الإسـلامية , قصـر الكتاب البليدة الجزائر 1997

- نصـر حامـد أبـو زيـد , دوائـر الخـوف , قـراءة فـي خطـاب المـرأة , المركز الثقافي العربي .ط 3 2004

- هشـام علـوي , الجسـد بـين الشـرق و الغـرب , نمـاذج و تطـورات منشورات الجيب , مطبعة النجاح 2004

- يوسـف القرضـاوي , مركـز المـرأة فـي الحيـاة الإسـلامية مؤسسـة الرسـالة , طبعة الأولى , بيروت , لبنان 1422 -2001

المواقع الإلكترونية :

- المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

- العربيـــة نـــت : الداعيـــة الســـعودي عبـــد الله مـــدعق , الصـــوفية , الـــركن الثالث في الدين الإسلامي , تاريخ الوصول 11 يونيو 2010.

الفهرس

دعـــاء

مقدمـة

مدخـل

الفصل 01: التجربة الغزلية 9

-الغـــــزل: لغـــــــة ، اصطلاحا.....10

تطور مفهوم الغزل عبر العصور.....12

1 - مفهوم الغزل عند الأمير عبد القادر.....15

خصائص غزل الأمير (من حيث مواضعه).....21

حضور المرأة في وجدان الأمير 30

الفصل الثاني : التجربة الصوفية 34

التصـــوف: لغة ، اصطلاحا.....35

اشتقاق مصطلح التصوف.....39

التصوف لدى المتصوفة أنفسهم 40

التصوف لدى غير المصوفة من المسلمين 41

التصوف عند الأمير عبد القادر الجزائري.....44

الأسباب التي حملت الأمير على سلك طريق التصوف 45

شعـــــر الأميـــــر الصوفـــــــي 55

الفصل الثالث : الجانب التطبيقي.....57

تداخل معطيات التجربة الغزلية في التجربة الصوفية.....57

المقاربة بين التجربتين (الغزلية + الصوفية) 62

ملحـــــــــق حياة الأمير عبد القادر الجزائري و أثاره.....71

خاتمـــــــــة 85

قائمة المصادر و المراجع 87